

الدكتور إبراهيم عبده



أقوال السلاطين

المكتب المصري الحديث

أقول للسلطان

بقلم
الدكتور إبراهيم عبده

الطبعة الثانية

يناير ١٩٧٧

الناشر
المكتب المصري الحديث
للطباعة والنشر
تليفون ٢٦٠٢
إسكندرية

أَتَعَهَّدُ الْأَيُّقْهَرِ رَأْيٌ وَلَا يَكْبِتُ فِكْرٌ تَحْتَ أَىْ ظَرْفٍ وَبِأَىْ سَبَبٍ

محمد أنور السادات

من خطابه بجامعة الإسكندرية
في ٢٦ يوليو ١٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

١٠٠ انشرتُ هذا الكتاب وأنا على يقن بأنه سيثير كثيراً من التساؤلات كيف كتبه؟ وكيف أجز نشره على الملأ؟ وكيف أذنوا بتوزيعه بين الناس؟

إن في بعض فصوله نقداً لأقوال أدلى بها الرئيس السادات رحمه الله وهذه خطوة ليست مأمونة العواقب ، ويخشى أن يكون لها أسوأ الخواتيم ، فما اعتاد الرؤساء أن يتكلموا فيعقب مواطن على كلامهم ، وإن كان للناس رأى في كلامهم ، فلا ينبغي أن يقال إلا همساً أو يعبر عنه بالإشارات ! ...

هكذا عشنا جيلاً لا يخطئ فينا رئيس ، حتى بدا الرؤساء معصومين من الأخطاء ! ...

و حين جاء السادات ، لم يرحب الكثيرون بمقدمه ، بل ذعروا حين أكد أنه يلي السلطة على نفس الطريق ! ...

وقلت للمذعورين : لقد جاء عمر بن عبد العزيز من أرومة بني أمية ، بيد أنه كان في خلافته شيئاً بعيداً جداً عن هؤلاء

الخلفاء ، إذ رد المسلمين إلى عهد الراشدين ، وليس من الضروري أن يكون الخلفاء على نهج واحد ، فقد يمضى بعضهم على نفس الطريق غير أنهم يختلفون في الطريقة وأسلوب الأداء ...

ومرت الأيام ، وأصر السادات على أن يحكم شعباً من الأحرار فأغلق السجون وهدم المعتقلات ، وحرر أكثر من ستين ألف رجل وامرأة كانوا يرسخون في السلاسل وتنوء أعناقهم بالأطواق ...

وأصر السادات على أن يأخذ الناس بالعدل ، فألغى القوانين الإستثنائية ، وأعاد للقضاء هيئته ومكانته ، وأبطل الحراسات ورد للناس ما سرق منهم بحجة التحول الاجتماعى وبغير ذلك من حجج لن يغفر الله لمبتدعيها ، وسوف يكتب لمن نسفها أكبر الثواب ،

وأصر السادات على أن تكون الكلمة حرة ، فألغى الرقابة على الصحف ونحن فى حرب ، وكان غيره يثير الحروب لأتفه الأسباب ليعلن الحجر على الرأى والمال ، وليكون له حق العبث بمقدرات الناس ...

وأصر السادات على أن يحارب ويرد اعتبار العرب والمصريين ، ومحقق نصرأ فريداً بعد سلسلة من الهزائم كتبت الذلة علينا نحو خمس وعشرين من السنين ...

وليست الطبعة الثانية من هذا الكتاب قد نشرت لتسجل للناس

منجزات الرئيس السادات إنما هي صورة من الطبعة الأولى ، وفيها مزيد من نقد حار وحريّف وحرّاق ! ...

ولإنما أشرت هنا إلى بعض من تاريخ الرجل الذي فتح صدره للنقد ، ولنقد أقواله هو ، حتى يفهم من قرأ الكتاب أنني لست في نقدي لما قال خصماً يترصد الأخطاء والهفوات ...

لقد كتب هذا الكتاب وصاحبه يسترخي على شاطئ البحر ، وجمعت حروفه وطُبعت ملازمه والطمانينة تملأ قلبه ووجدانه ، ثقةً منه بأن السلطان القوى لا يخاف الكرامة القوية ، وأنها حين تُنشر على الناس تكون شهادة لهذا السلطان الذي عرفناه ست سنوات فإذا هو الحر الذي أنجز وعده وبر بكل عهد قطعه على نفسه^{١٢} .

وبعد ، فأنتم هذه الفاتحة بكتابة لا بد منها لمن أساء الظن بمقال المنشور في جريدة الأخبار في ديسمبر الماضي وعنوانه (وأذن السلطان بـلقائي) فاعتبر كالحات التأييد الموجهة إلى الرئيس السادات ... « قسم ولأء » ! ...

وأولئك لم يقرءوا هذا الكتاب ، ولم يقرءوا الكتب الثلاثة التي سبقته في نقد ما دو قائم ونقد ما فات ، لأن كل عبارات التأييد والثناء المنشورة في المقال ، تكاد أن تكون هي عبارات التأييد والثناء التي توجد في كتبي السياسية الأربعة ، سجاتها قبل أن ياتماني وألقاه^{١٣} .

أما بعد فإن هذا القلم لم يوظف قط ، ولن يوظف أبداً إلا لكلمة الحق يقولها من نور أو نار ، وإن صاحبه لا يعرف الولاء إلا لله سبحانه وللوطن علت راياته ، ولكن ذمته لا تشمل أن ينكر على الرجل ما قدم لبلاده من خدمات كان آخرها ما صدر من قرارات استجاب فيها لكثير مما نقدته في كتابي من إسراف ، فألغى سيارات الوزراء ، وحذف ثلث مخصصات القصر الجمهوري ، ثم أصغى بالمودة لأهم من ذلك كله ، أصغى إلى الرغبة العارمة من أصحاب الرأي في قضية حرية الفكر ، فألغى الرقابة على الكتب .
وليس هذا بالشىء القليل

دكتور إبراهيم عبده

ديسمبر ١٩٧٦

مقدمة الطبعة الأولى

هذه خلجات نفس كتبت للسلطان ، فقد دعانا هذا السلطان إلى أن ندلى بالرأى فيما يعنى بلدنا ، ويهم أمرنا ، ويشغل بال مواطنينا .
و حين يطلب السلطان من مواطنيه أن يبصروا بالخطأ ، ويشيروا بالصواب ، فإنما هى دعوة من رجل صالح ينهج نهج الراشدين من الحكام والسلاطين . . .

فإذا كانت الدعوة إلى النقد من أجل الصالح العام صادرة من ولي الأمر ، فإن السكوت على مفسدة أو إغضاء الطرف عن سوءة يعد جريمة فى حق الوطن ، واستهانة بمقام السلطان ، لأن الرجل يسر لنا ما كان صعباً أو مستحيلاً ، إذ عاشت مصر نحو عشرين عاماً لا يستطيع مواطن فيها أن ينطق بكلمة الحق ، لأن سلطان ذاك الزمان لم يكن يطيق أن يرى للحق راية ، ولا يسيغ أن يُتهم بهنة ، هو أو أحد معاونيه الكبار ، أو أى ممن يجيدون لعق النعال من خدمه وحاشيته أو ممن فى مرتبتهم من السوق وشواذ المجتمع .

لم يكن يطيق أن يسمع نقداً أو نصيحة ، لأن النقد أو النصيحة وثيقة على أن فى النظام خللاً ، أو أن الأمور لا تسير على هوى الناس ، والنظام حينذاك كان يعتقد أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان . . .
... فإذا جاء سلطان اليوم وقال لنا بعد ست سنوات من حكمه ،

ها هي ذي صفحتي ، وطلب إلينا أن ننظر فيها ، ونقول الرأي في سطورها ، ونكصنا نحن عن تلبية رغبته ، أصبح شعب مصر من الشياطين الحرس ! ...

وإذا كان عمر بن الخطاب قد طلب من المسلمين أن يقولوا سياسته بحد السيف ، فما أظننا اليوم في حاجة إلى سيف بقدر حاجتنا إلى قلم ، لأن القلم من روح الله ، أليس هو سبحانه الذي علم بالقلم ؟ ولن ننسى أن سلطان أمس قد طلب إلينا أن نرفع رؤوسنا وصدق السذج دعوته فرفعوا رؤوسهم ، ولا مجال في هذه المقدمة لتفصيل ما جرى لتلك الرعوس التي لم يبق من أصحابها إلا الذيول !

لم يكن من طابع الأشياء أن يرفع المصريون رؤوسهم وراية القانون منكسة ، أما اليوم فقد ثبت أن سيادة القانون حقيقة ، وأنها أصبحت واقعاً في حياة الناس وأصلاً في ضمير المجتمع ، والزم بها السلطان حتى في أعز الناس عليه ، وأخذت العدالة المسيئين من أقيمتهم حتى ولو كانوا رفاق السلطان في السلاح والجهاد ، أو معاوني السلطان في هذا الموقع أو ذاك .

بقيت عند الناس شبهة فيما دعا إليه السلطان من حق الناس في حرية القول والتعبير ، ولا يزالون بالرغم من حرية القلم في الصحف والمجلات ، يعتقدون أن هذه الحرية لا تزال في رافد منها تخضع

للرقابة ، وأنه ما دام القلم فى جانب من رسالته يخضع للرقابة والرقب ، فإن الحرية تحتاج إلى شواهد تؤكد للناس أنها هى الأخرى قد أصبحت واقعاً فى حياة الناس وأصلاً فى ضمير المجتمع . وإذا كانت السنوات الست الأولى من حكم السادات قد حققت سيادة القانون ، فإننا ننتظر فى سنوات حكمه الست الجديدة التى بدأت منذ أسابيع أن تتحقق الحرية ... كل الحرية ...

لذلك كتبت خلجات نفسى هذه مطمئناً إلى الطريق ، مؤمناً بأنه خال من الحصى ، ممهداً لا وعشاء فيه .

ونخلجات نفسى هنا ، نقد صادق وصريح وبناء ...

وحين تطبع هذه الخلجات ويقرأها الناس ، فسوف تكون : شاهداً عملاقاً على أن حرية التعبير حقيقة لا وراء فيها ، وأن السلطان ! قد صدق وعداً عندما تعهد ألا يقهر رأى ولا يكبت فكر تحت أى ظرف وبأى سبب .

١ . ع .

نوفمبر ١٩٧٦

معك ولواخستنا

صدقني يا سيدى الرئيس حين أزعـم أننى أكتب لك من قلب
مفتوح لم يعرف الحقد قط :

وأمل أن تثق بـأننى متجاوب معك فى كثير جداً من خطاك ،
وأننى أبارك هذه الخطى من قلب شفاف ليس فيه بقعة سوداء ،
ولا يضطرب إلا بالحب ، ولا يستجيب إلا للخير ، ولا ينبض
إلا بكل جميل وجليل :

وأنا حين أكتب لك هذا أرجو ألا تسلكنى فيمن اتهمتهم
بالسعى وراء الشهرة ، فنحن أكبر من أن نلتمس الشهرة فى كتب
السياسة وأنا فى أسواق العلم مراجع علمت جيلاً وسوف تعلم على
الزمن أجيالاً أخرى ، ونحن حين نكتب نجد كل الجد ، فتلك
محييتنا وهى أيضاً طابع حياتنا منذ رأينا النور حتى كتابة هذه السطور :

وأنا حين أتجاوب مع خطاك ، وخاصة فى شئون الخارج ،
لا أشد عن سائر المصريين الذى وجدوا فىك الزعيم القادر على
علاج الجراح التى خالفتها سياسة التهريج والشعارات ، والتى تركت
فى كل مكان حقداً على مصر لم تعرف لضراوته نظيراً عبر
تاريخها الطويل ، سواء اتصل ذلك بإخواننا العرب أو بدول الغرب

أَوْ حَتَّى بِدَوْلِ الشَّرْقِ إِلَى دَرْنَا رَدْحًا مِنْ الزَّمَنِ فِي فَلَكِهَا الْمَمْلُوقِ
الْبَغِيضِ :

إِنَّمَا أَكْتُبُ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَاتِ ، وَهِيَ صَدَى لِأَحَاسِيْسِ الْمَلَائِكِ
الَّذِينَ تَحِبُّهُمْ وَالَّذِينَ يَهْذِيكَ أَنْ يَثْنِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَادَ
أَنْ يَقْضَى مِنْ شِدَّةِ الْإِثْنِ ... /

أَرْجُو أَنْ تَصْغِي بِمُودَةٍ لَمَّا تَنْفُضُهُ لَكَ نَفْسِي ، فَهُوَ كَشْفُ حِسَابٍ
لَا تَعْرِفُهُ ، فَكَشُوفِ الْحَسَابَاتِ الَّتِي تَقْدُمُ لَكَ لَا تَحْمِلُ الصَّدَقَ كُلَّهُ ،
أَلَمْ تَقُلْ لَنَا إِنْ سِتْ سِنَوَاتٍ قَضَيْتَهَا فِي قِمَّةِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَوزَرَائِكَ يَخْفُونَ
عَنْكَ حَقِيقَةَ الْوَضْعِ الْاِقْتِصَادِيِّ الْمُرْدِي حَتَّى أُسَرَّ إِلَيْكَ بِذَلِكَ الْوَضْعِ
كَبِيرِ وَزَرَائِكَ (١) وَكَانَ لَكَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ بَيْنَ مَثَلَاتِ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ
اتَّوَلَّوْا شُئُونَ الْحُكْمِ فِي عَهْدِكَ فَسَارُوا عَلَى دَرْبٍ مِنْ سَبْقِهِمْ ، فَيُرَوْنَهُ
غَنِيمَةً وَلَيْسَ مَسْئُولِيَّةً تَنْوَعُهَا الْجِبَالُ ؟ :

أَرْجُو أَنْ تَفْسَحَ لِي صَدْرَكَ ، وَتَفْتِحَ لِي قَلْبَكَ ، لِأَقْصِ عَلَيْكَ
بَعْضَ مَا أَخْفَيْتَهُ الْأَجْهَزَةُ عَنْكَ ، أَوْ نَخَشِي مِنْ حَوْلِكَ أَنْ يَحْكُمَهُ لَكَ
حَتَّى لَا يَفْسِدُوا عَلَيْكَ سَعَادَتُكَ . أَلَمْ تَطَالِبْ مِنَّا فِي أَكْثَرِ مِنْ نَخْطَةِ
أَنْ نَكْشِفَ لَكَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَاجَرُونَ فِي قُوتِ الشَّعْبِ وَيَفْسِدُونَ
بِذَلِكَ حَيَاتَهُ ، وَيَقْطَعُونَ بِجَرَائِمِهِمْ حِبَالَ الْمُودَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَكَ
وَبَيْنَ النَّاسِ ؟ .

(١) جَاءَ ذَلِكَ فِي خُطَابِ الرَّئِيسِ فِي ١٤ مَارَسِ ١٩٧٦ .

ألم تؤكد لنا هذا المعنى فى خطابك ليلة الاحتفال بالذكرى
الرابعة والعشرين لثورة يوليو فطالت . « أن تكون الأضواء مضاءة
والستائر مرفوعة والحديث عن جميع أنواع الانحرافات ونقدها
مباح » ثم طلبت إلى جميع الأجهزة الرسمية والشعبية أن تتعقب
« المنحرفين وغير المنتجين ونهازى الفرص » ؟ ...

أرجو ألا تغضب حين أختلف معك فى بعض جوانب السياسة
الداخلية ، أو أعلق برأى لا يتفق مع رأيك .. ألم تطلب منا فى
كل أحاديثك وخطبك ألا نخاف ؟ .

أست القائل « لا شىء يشل إرادة الإنسان بل يحيله إلى جسد
بهلا روح مثل الخوف ، والخوف يولد العجز ، والحقد هو المرة
الطبيعية للإحساس بالعجز » (١) .

فأنت إذن تريد منا كلمة الحق ...

وكلمة الحق هذه ، الصديق فيها نسبي ، وشرط براءتها أن
يكون الدافع إليها سلامة النية وليس الحقد الذى يؤرق عليك وعلينا
المضاجع ، وهى — أى كلمة الحق — اسمها لك هنا ، وصدقنى
ظلمرة الثانية ، أننى أكتبها من قلب مفتوح لم يعرف الحقد قط ...

(١) من خطاب الرئيس فى ذكرى الثورة . فى عامها الرابع والعشرين .

الشوب الناصع الأبيض

كانت خطبتك يا سيدى الرئيس فى ١٤ مارس ١٩٧٦ شيئاً فريداً بين خطبك وأحاديثك الكثار ، فقد اتسمت وحدها بشىء من العنف لم يؤثر عنك قط .

وفى تلك الخطبة قررت أن الحق قد كان الدافع لنقد نظام عبد الناصر وشملى قراراتك كما شمل عشرات غيرى ، وجاء ذلك القرار وأنت تتحدث عن كتاب صدر يشكك فى ذمة عبد الناصر ، وصاحبه - كما تقول - صديق عزيز عليك عاش معك فى المعتقل وأنقذ رقبته من المشنقة وكان مثالياً فى كل شىء ...

ونحن لا نعتذر عما سجلناه فى نظام عبد الناصر ، بل نفخر بأننا فجرنا الثورة على ما خفى من أمر هذا النظام ، وغامرنا فى كتابنا الأول بكشف كل ما نعرفه من عوراته ، وعقبنا بكتابين آخرين أكثر تفصيلاً وأوضح بياناً حتى لا ترى مصر نظاماً مثله مرة أخرى.

ونحن حين نقدنا نظام عبد الناصر لم نتعرض حتى الآن إلا للقليل من مآسى ذلك النظام الذى ينكشف كل يوم المزيد من الجرائم التى ارتكبت فى ظله ، وبعض هذه الجرائم محل تحقيق ومحاكمة ، وبعضها قال القضاء كلمته فيها ، وهى الكلمة التى قلناها فى كتبنا ومقالاتنا ، وسبقنا القضاء فى تسجيلها وكشفها .

وقد سمعنا في تلك الخطبة تأكيداً للصداقة التي تربط بينك وبين
عبد الناصر ، وهو أمر لا يزعمنا ، بل لعاه يسعدنا أن نجد في هذا
الزمن واحداً يعتز بصديق وهو موضع النقد عند قطاع عريض
من الرأي العام .

ومهما اختلفت معك في وزن الرئيس الراحل ومكانه في التاريخ
فإنه لا يضيرنا أن تراه رجلاً من رجالات مصر والأمة العربية .

ولكن الشيء الذي يزعمنا هو إصرارك على أن تحمل نفسك
مسئولية الحكم في عهده ، فلسنا سذجاً أو بنا عتة أو أصبنا بالجنون
حتى نصدق أن لك نصيباً في التعذيب أو السرف أو الهزائم أو
غير ذلك من سوءات العهد .

لقد أسرفت كأي شهم في ذكر هذه المسؤولية لتحمل صديقك
من سياط النقد ، حتى طالب أستاذ جامعي بمحاكتك ، وهو إنما
يريد أن يؤكد بحكم قضائي أنك كنت بعيداً عن المسؤولية الجنائية ،
وبعيداً عن كل ما شاهدته البلاد من ظلم وطمغان .

يا سيدي إنما لم نتعرض لشخص صاحبك وإنما ناقشنا بعض
تصرفاته ، ونقدنا نظام الحكم في عهده ، وكشفنا المأساة التي عشناها
في ظله .

نحن لم نسجل إلا ما قلته أنت يا سيدي الرئيس .

حدثتنا عن التركة التي ورثها عنه ، فقلت للمستمعين إلى خطابك : « ترك لي عبد الناصر كلكم تعلمون ما هي هذه التركة ؟ موقف خارجي ممزق مع جميع العالم ... ممزق مع الأمة العربية ، ممزق مع أمريكا ، ممزق مع غرب أوروبا ، ممزق مع دول كثيرة جداً في هذا العالم ، ويكفي أمتنا العربية التي هي عيلتنا ممزق ، أدى الموقف السياسي ... ترك لي موقف عسكري ... إسرائيل على ضفة القناة .. ده الموقف السياسي التي سابه لي مش بس كده .. هزيمة ... مرارة ... ألم ... إقتصادي لم نصل في حياتنا إلى موقف اقتصادي كما وصلنا إلى ما فيه نحن اليوم ، كل ده كان شيء ، وأمر واحد تركه لي هو التي أنا تعبت وعانيت ولا زلت أعاني منه هو الحقده ... الحقده التي استشرى في البلد ... بين الكل ... أنا عن نفسي ما أعرف أشتغل بالحقده ... »

إننا يا سيدي الرئيس لم نقل في عهد عبد الناصر أكثر مما قلت : إن كتبنا التي صدرت قبل خطبتك تلك بسنة أو سنتين عن عهد سلفك الراحل إنما كانت حيثيات لحكمك الصادر في ١٤ مارس سنة ١٩٧٦ ...

الجديد ، أن الحيثيات سبقت الحكم ...

يقول حكمك الذي نقلنا بعض فقراته إن نظام عبد الناصر قام على الحقده « بين الكل » وإن هذا الحقده « استشرى في البلد » (٢م - أقول للسلطان)

وإنك حيّاك الله وبيّاك ، لا تعمل في ظل الحقد ، ولكن صديقك الذي « حفر فعلاً في تاريخ هذا البلد وفي تاريخ أمتة العربية صفحات رائعة » كما تقول سيادتكم قد قام نظامه على الحقد ، وأنه لم يستطع أن يحكم إلا في أعطاف هذا الحقد !!! ...

ويقول حكماك على عبد الناصر إنك ورثت عنه عدااء العالم بمشرقه ومغربه ، وترك لك هزيمة منكورة وجيش لإسرائيل على ضفة القناة ، ثم ترك لك وضعاً اقتصادياً منهاراً لم تعرفه مصر في يوم من الأيام ...

وتقول كتبنا السياسية أو المذكورة التفسيرية لحكمكم على نظام عبد الناصر في باب « الحقد » إنه شيء طبيعي لأنه حصيلة الظلم الذي وقع على عشرات الألوف من المواطنين المسلمين الذين سجنوا أو اعتقلوا أو شردوا أو عذبوا أو صودرت أموالهم بغير حق ، أو فصلوا من وظائفهم فتمحولوا إلى متسولين أو منحرفين ، أو فسق في بناتهم أو زوجاتهم أو أخواتهم ، أو تعرضوا هم أنفسهم للاعتداء على رجوليتهم (١) ثم أطلق النظام كلابه في كل موقع من مواقع

(١) أقرب الأمثلة على ذلك ما حدث لأهل كمشيش من تعذيب على يد رجال المباحث الجنائية العسكرية إذ قال النائب العام في قرار الاتهام « أجلسوهم القرفصاء وانهاكوا عليهم ضرباً بالسياط والبسوهم ثياب النساء وربطوا على أفواههم لحمل الخيل وعرضوهم لصدمات كهربائية وهتكوا عرض بعض الرجال ... » وهناك حكايات أخرى سجلها النائب العام غفت الصحف عن نشرها لما فيها من جرائم خلقية نعت نحن أيضاً عن نشرها في هذا الكتاب ! ...

الإعلام على نخبة من الأحرار المجاهدين فلصقت بهم الرذائل والقبايح
وادعت عليهم كذباً وافتراء مسئولية ما يقال عن فساد ما قبل الثورة :
كيف نصور مثل هذا المجتمع الذي عشناه قرابة عشرين عاماً ؟
لقد صورته لنا حين قلت « أنا بأو من بمبدأ أن المجتمع اللي تهدر
فيه إنسانية أى فرد من ملايينه مجتمع ظالم غير جدير بالبقاء » (١) :
وما أظن كل هذا الذي ألحنا إليه إلا صورة رائعة مروعة لمجتمع
ظالم غير جدير بالبقاء !

فاعذر الناس يا سيدى حين يذكرون كل هذه المآسى واللعنة في
أفواههم ، واعذرهم حين يضمنون بالترحم على من ظلمهم ، فقد
قيل إن من يترحم على ظالم يرتكب معصية ...

أما عن العداء الذي ذكرت أن نظام عبد الناصر نشره في أرجاء
العالم ، فقد شمل أول ما شمل إخواننا العرب ، كل العرب ، إذ
نالوا من النظام عداء بلا مبرر مفهوم ، واتخذ هذا العداء أسلوباً
سوقياً تولته إذاعة صوت العرب أو إذاعة شتم العرب فتعرضت
بقية الملوكهم ورؤسائهم ، وحمل الأثير حصيلة ضيعة من الألفاظ
النايبة لا تتردد إلا في « حوش بردق » وهو حتى أشهر منذ عهد
المماليك بالبذاءة وطول اللسان ! ...

(١) راجع خطبة الرئيس في مارس ١٩٧٦ ثم تكراره لهذه العبارة عشية
ترشيحه لرئاسة الجمهورية في مجلس الشعب في ٢٥ أغسطس ١٩٧٦ .

ولأسباب تافهة. ذخر باب العداء بمخصومات مع أمريكا وهي سيدة الموقف في قضية الاحتلال الإسرائيلي ، وبمخصومات أخرى مع إنجلترا وفرنسا وألمانيا الغربية^(١)، وحتى روسيا التي استعبدت بلادنا بفضل ذلك النظام البغيض لم تنج من وقاحته .

وتحولت بذاءات اللسان أحياناً إلى تجريدات عسكرية ... تجريدة إلى الكونغو ، وأخرى إلى اليمن .. أو تجريدات سرية تهدف إلى انقلاب هنا أو انقلاب هناك ، فإن فشلت هذه التجريدات السرية فيما تهيأت له. كانت لا تعود تخفى حين ، فتترك بصماتها تدميراً لمنشأة أو نسفاً لمصنع أو اغتيالاً لإنسان ، تماماً كما يفعل تلميذه المتدافى في هذه الأيام ! ...

وهكذا يا سيدي الرئيس قام النظام كما تفضيات وصورته لنا في خطاباتك ذاك ، قام على الحقد والعداء ، في الداخل والخارج على السواء :

أما الوضع الاقتصادي المنهار الذي ورثته عن عبد الناصر ، فقد حدد أبعاد هذه الكارثة الاقتصادية وزير مالىتك في بيانه في مجلس الشعب وهو يقدم ميزانية سنة ١٩٧٦ أو موازنة ١٩٧٦ كما يسميها الشيوعيون ! فقد أعلن أننا خسرنا ١٦١٤١ مليون جنيه منذ هزيمتنا في يونيو ١٩٦٧ إلى نصرنا في أكتوبر ١٩٧٣ (١) .

(١) الأهرام في ١٠/١٢/١٩٧٥ .

ويبدو أن وزير المالية كان رفيقاً بالناس ، فلم يرجع بهم إلى ما قبل سنة ١٩٦٧ ، [فإن السنوات العشر التي سبقت الهزيمة لها هي أيضاً اقتصادها المنهار ، وهو اقتصاد لا يعرف تفاصيله أحد ، لأن ميزانيات الدولة والقطاع العام كانت سرّاً لا يباح ...]

كانت أموال الشعب في السنوات العشر تلك تبذر في الحروب وبعثات التدمير هنا وهناك ، وإنشاء السجون والمعتقلات ، والتجسس على المواطنين في حياتهم الخاصة والعامة ، بالإضافة إلى ما تفضلت به وسجلته في خطابك حيث بينت أن نظام سلفك خلا من « الأمانة والشعور بالمسؤولية » إذ أن أموال مصر بذرتها « سياسة تجنيد العملاء والوكلاء وشراء الأقلام وإصدار الصحف المأجورة » واستكتاب « المرتزقة الذين يأكلون على جميع الموائد ويتنقلون من النقيض إلى النقيض » :

وأذكر إلى جانب هذا التبييد لأموال الشعب ، أن هناك جداول أخرى من التبذير عاينت. على الوصول بمصر إلى هذا الوضع الاقتصادي المتردى ، وهي وإن بدت ضئيلة إلا أنك تراها حين تتجمع نهرآ من السفه لا يرافداً قصيراً من الإسراف .

لقد جاء في القضايا التي عرضت على القضاء ومن أقوال الشهود والمتهمين ، أنه عندما سقطت [دولة الإنكشارية عقب كارثة ١٩٦٧

ووجدوا في قصر المشير عبد الحكيم عامر تلالاً من العملات الأجنبية وخمسة أكياس من الذهب ... !

ووجدوا في خزائن شمس بدران تلالاً أخرى من جميع عملات العالم الصعبة التي تتحرق على جزء منها ميزانية الدولة ! ...

ووجدوا في بيت المشير وحده ثمانين سيارة (١) لكل سيارة سائقان ، خصصت له ولأسرته وتصرف عايمها الدولة كل شهر آلاف الجنيهات ، وكنا حين قامت الثورة نتهم الملك باستغلال أموال الشعب لأن الثوار وجدوا في (جراج) الخاصة الملكية ستين سيارة ؟ ! ...

ومئات الألوف من العملات الصعبة ومن الذهب النضير التي ضبطت عند المشير وصبيه ألا تدعو لأن نتساءل كم بددا كل سنة من أموال الشعب منذ منحنا ذلك السلطان قبل الهزيمة بنحو ثلاثة عشر عاماً ؟ ! ...

وكم من الملايين خرجت من بين أنامل سامي شرف ومن في مرتبته من الخدم والحاشية ولم تقيد في دفتر أو يكون لها حساب ؟
وكم من الملايين كانت تصرف من خزائن شعراوي بجمعه وزير الداخلية على التلصص والتجسس وشراء الدم وإفساد الأخلاق ؟

(١) من شهادة محمد طنطاوي أحد ضباط الجيش المواليين للمشير .

راجع كتاب (في ساحة الطفيان)

وكيف نجمع الملايين التي بددت في صورة هدايا أمر بها الراحل
عبد الناصر لكل وفد زار مصر ، وكان عدد كل وفد لا يقل عن
خمسین شخصاً ، وبلغ عدد الوفود في عهده السعيد بضع مئات ؟ .
وكيف نجمع الملايين التي بددت في صورة هدايا وإكراميات
حملها الرئيس الراحل في زيارته العديدة لدول العالم ، أو حملها
لمبعوثيه الذين كان يرسلهم لهذا الباد أو ذاك ؟ ...

وكم من مئات الألوف تكرم الرئيس الراحل فوهبها « نقطة » في
زواج أبناء أصدقائه أو أبناء خدمه وحاشيته أو أبناء بعض زملائه
أعضاء مجلس الثورة ؟ ...

وكم من الملايين تكرم بها أيضاً المشير عبد الحكيم عامر على
من لاذ به من ضباط الجيش في أفراحهم ، وفي أمراضهم التي
عولجوا منها في أوروبا وأمريكا وهي أمراض مستعصية على أطباء
مصر كالزكام وما في مرتبته من أمراض ؟ ! ...

وكم من الملايين بددت في ليالى الحظ والجلسات الطرية ؟
وتزعم مجلة روز اليوسف في عددها الصادر في ٣ نوفمبر ١٩٧٥
فتذكر كيف كان المشير يجمع حواريه من المدنيين والعسكريين في
ليال صاخبة تزخر بما يُندى له الجبين ، ويبدو أن الجو كان « يُعَبِّق »
بما يدير الرعوس فضلاً عما كانت تفعاله في النفوس الكؤوس ،
حتى أن بعض الحواريين فقدوا أعصابهم فضربوا أحد الضيوف

حين ثار لمغازلة أحد الضباط لزوجته | ، بيد أن المشير غفر الله له تكرم وتفضل وربت على كتف الزوج وقال له: «إنت في ديك النهار لما يغازلها ضابط ؟»

وكم من الملايين سرقت وهربت ؟

وكم من الملايين أهدرها القطاع العام في المظاهر والمباهج ؟

كم من المال صرف على رش مصعد وحجرة رئيس الجهاز المركزي الخرافية بالروائح الزكية في الأعوام العشرة الأخيرة ؟

وكم من المال بدد على سيارات القطاع العام منذ إنشائه إلى أن أصبحت وكأنها سيارات خاصة إذ نشرت الأهرام في ١١ نوفمبر سنة ١٩٧٥ صورة لإحدى هذه السيارات وقد زينت بالصورة العارية ؟

لقد أسقطت يا سيدي الرئيس في خطابك ذكر كل هذا ، ونسى وزير مائيتك أو تناسى أن يسجل كل هذا السفه والإسراف أو قل كل هذه الجرائم وهو يحكى عن الوضع الاقتصادي المتردى الذى ورثنا إياه عبد الناصر فيما ورثنا من كوارث ونكبات .

ليست هذه الصورة البغيضة هي صورة ثورتنا التى نؤمن بها والتى أقبلنا عليها فى حماس منقطع النظير ، دليله ما كتبناه فى شهر سبتمبر ١٩٥٢ تحية عاطرة لها وعتاباً مريراً لمن يشككون فى نواياها ، ومع هذا البلاء الذى ذكرته وذكرناه ، وفصاته وفصلناه ، فإنك

عدت في خطبة مارس تعاتب في عنف كل من كتب عن الجرائم التي ارتكبت في عهد الرئيس الراحل فقلت « إن الذين يركزون كل الأضواء على السجن والتعذيب والمصادرة إنما يركزون على جزء ضئيل جداً من الصورة العامة للثورة ، يركزون على البقعة القائمة على الثوب الناصع الأبيض وليس بهذا التشويش المقصود يكتب التاريخ » .

أما أنها بقعة قائمة فقط في الثوب الناصع الأبيض فذلك ما يختلف فيه معاك ...

إن الثوب الأبيض كاد أن يختفى بياضه من كثرة البقع القائمة به .
ولسنا في حاجة إلى دليل وعلى لسانك حياك الله عدت لنا الكوارث والمصائب ، وبينت لنا أن الأمر لم يكن سجيناً وتعذيباً ومصادرة فقط !
ونكمل نحن فنقول ...

إذا كانت السجون والمعتقلات والمصادرة بقعة

فكذلك كانت مذبحه القضاء بقعة ...

وكذلك كان احتلال الروس لموانينا ومطاراتنا بقعة ...

وكذلك كانت هزيمة ١٩٥٦ بقعة ...

وكان فشلنا في اليمن بقعة ...

وكان فشلنا في الكونغو بقعة ...

وكان إغراق الإدارة بأهل الثقة بقعة ...

وكانت سرقات القصور والدور وما فيها من مال ومجوهرات
بقعة ...

ثم جاءت أم البقع في ٥ يونيو ١٩٦٧ ففرطحت على الثوب
الناصع الأبيض ...

ترى بالله أى ثوب فى الدنيا يمكن أن يبقى ناصع البياض وكل
هذه البقع تملأ قلبه وجوانبه وتشغل وجهه وظهره ؟ ...

إننا فى الحق مهورون بوفائك لصاحبك ، وقد بدا هذا الوفاء
أقوى ما بدا فى القضية الخاصة بذمة عبد الناصر .

لا أذكر أننى تعرضت لذمة الرئيس الراحل أو ناقشتها فى واقعة
من الوقائع لأن الوثائق ليست تحت يدى ، إلا أن كتاب صديقك
الأستاذ جلال الحماصى الذى أثار غضبك ، أرانى — حتى اليوم —
مشغول الفكر بما جاء فيه ، لأنه اتهم الرئيس الراحل بحكاية الملايين
الخمسة عشر ، ولم نجد رداً شافياً ينفى الاتهام النفى القاطع الصريح .
الحماصى يتهم ، والأجهزة الرسمية ترد فى اليوم التالى بوثائق
تحتاج إلى « صواميل » تربط بين المعانى ...

وسيادتكم نقولون فى تسفيه ما نشرته أخبار اليوم فى هذه
القضية نقلاً عن كتاب الحماصى « صحيح قد يكون هناك بعض
الإجراءات التى لم تراعى من قبل مسئولين فى طريقة التوريد » .

ثم يسبق ذلك قولكم لمجلس الشعب السابق «أنا بأضع الـدى مكتب
مجلسكم الموقر التحقيق الـذى أجراه المدعى الاشتراكى»

والناس يتساءلون ...

ما هى الإجراءات التى لم تراعى فى توريد المبالغ ؟

ثم يتساءلون ...

ماذا فعل مجلس الشعب السابق فى التحقيق الـذى أودع مكتب
المجلس الموقر ؟

إننا لم نقرأ شيئاً عن مصير هذا التحقيق الـذى أجراه المدعى
الاشتراكى ولم نسمع عضواً من الأعضاء المحترمين طالب بعرضه
على مجلس الشعب حتى يتخذ المجلس قراراً فى هذا الشأن يأمر
بنشره فى الصحف وبثه فى الإذاعة والتليفزيون ...

ودعنا مما احتوى عليه كتاب الحمامصى من اتهامات أخرى
لا تقل خطورة عن قصة الملايين إياها وسكتت الدولة عن الرد عليها
فإن الناس يرون أن السكوت على سائر التهم إلى جانب الصمت
الذى نخيم على مجلس الشعب السابق فى قصة ملايين الدولارات
تركت ذمة الرجل معلقة وموضع الشبهات ، وتركت الاتهام قائماً ،
وسوف يبقى قائماً حتى يعرف هؤلاء الناس الإجراءات الباطلة فى

توريد المبالغ ، ووجه الحق فيما تضمنه تقرير المدعى الاشتراكي
المحبوس في أضاير « مكتب مجلس الشعب الموقر » يخيم عليه بصمت
مريب ! ... (١) .

(١) ذكر لي مصدر كبير أن ذمة عبد الناصر بريئة في قضية الملايين
المذكورة ، وأن ذلك سوف يتضح حين ينشر تقرير المدعى الاشتراكي ، ونحن
في انتظار هذا النشر حتى يتضح وجه الحق في المسألة .

انتخاب الرئيس

وتحدثت سيدى فى خطبة مارس عن « منصب الرئيس »
فرفضت دعوة الداعين إلى اختياره بالانتخاب ، وهى قضية أثراها
على صفحات « الأخبار » وأيدتنا فيها النخبة من أهل الرأى والفكر
فى البلاد .

وفى نقدك الرقيق شعرت أنك تعلم أن الدعوة لانتخاب الرئيس
دون الاستفتاء عليه ، دعوة صادرة من فكر يريد أن تبلغ الديمقراطية
فى عهدك ذروتها ، وأن يكتب لك فى التاريخ شرف هذه الخطوة ،
وأن يتميز نظامك بهذه النهاية السعيدة .

وما أظن مجيء رئيس الجمهورية إلى القيادة عن طريق الانتخاب
سيحول بين الرئيس المنتخب وبين أداء واجباته فى العصر الحديث
كما تقول « العصر الكثير التيارات السريع الحركة » ، المحتاج إلى
اليقظة وسرعة الفصل ورد الفعل أى سرعة اتخاذ القرار .

ثم تفضلت فقلت « وما يصلح فى الولايات المتحدة وفى أى
مكان آخر لا يصلح لنا هنا ... نحن نشأنا على احترام روابط الأسرة .
ونشأنا على احترام كبير الأسرة . فإذا خرجنا عن هذا فلإننا نخرج
عن قيمنا وقد نصل فى النهاية إلى ما لا تحمد عقباه ... » .

ولست أدري لم لا يصلح لنا ما يجرى في الولايات المتحدة في
هذا الشأن ؟

إننا نأتم بكثير مما يجرى في الولايات المتحدة وفي غيرها من
البلاد الديمقراطية .

إن أعضاء مجلس الشعب عندنا يأتون إلى مواقعهم بالانتخاب ..
إن نقيب المحامين ونقيب المهندسين ونقيب الأطباء وغيرهم من
نقباء المهن الحرة يأتون إلى مراكزهم بالانتخاب ...
وحتى النقابات الصغيرة والجمعيات الخاصة والعامة يأتي رؤساؤها
عن طريق الانتخاب ...

إن العمال في مصانعهم يأتون في مجالس الإدارة بالانتخاب ...
إن اتحادات الطلبة في الجامعات يأتي ممثلوها بالانتخاب ...
إن أمناء العمال والفلاحين يأتون بالانتخاب .
والأمثلة أكثر من أن تعد أو تحصى ...

فاذا اخترناك بالانتخاب أيضاً فلن يحول هذا الإجراء دون
قيامك بمسئولياتك في هذا « العصر كثير التيارات السريع الحركة
المحتاج إلى اليقظة وسرعة الفصل أى سرعة اتخاذ القرار » ...

وكيف يكون انتخاب رئيس الجمهورية ضد روابط الأسرة
وحاجباً لاحترام كبيرها ؟

إنك اليوم كبير الأسرة لأننا اخترناك بطريقة أو أخرى ،
وما كان يمكن أن تكون كبير الأسرة إلا بهذا الاختيار ، ونحن
حين دعونا إلى إنتخابك كنا نريد إبعاد أى شبهة أو شك في أنك
كبيرنا بمحض اختيارنا ، نوثرك على غيرك لأنك عندنا تمثل معاني
الحرية ونرى فيك صمام الأمان .

وأعتذر إليك يا سيدى الرئيس حين أخالفك فيما تعنيه بعبارة
« كبير الأسرة » إنك عندي ، وعند ملايين الناجين في مصر أصاح
رب أسرة شهدته البلاد منذ عهد بعيد ...

إنك رب أسرة مثالى على الصعيد الخاص كما تتحدث الأخبار
ويقول الرواة ...

إنك لرب أسرة مثالى على مستوى الجمهورية كما أعرف وكما
يعرف الناس . الأب الحانى على كل مظلوم أو مصدوم أو مكلوم ...
الأب العادل الذى رد الحقوق لأصحابها ، وانتصف للضعفاء من
الأقوياء ، وحطم القيود والسلاسل ... الأب النطاسى الذى آسى
الجروح حتى خات من القيح ، وواسى اللقوب حتى نفضت ما فيها
من حسرة وحقد وكراهية ...

لذلك كانت دهشتى شديدة لتمسكك بطريقة الاستفتاء ، وهى
وإن لم تثر إزعاجاً لنا لأنك كنت أنت المرشح للرئاسة إلا أنها تركت
في نفوسنا قلقاً على من سيفرض علينا بعدك من أرباب ! ...

من يدري ؟ فقد يجيء رب أسرة مجنون أو معتوه أو مغرور
أو ملتاث وأماننا المثل قائم على قرب من الحدود ...

لقد كان هتار رب أسرة في ألمانيا ، فانتهدت ألمانيا إلى التمزق
والضياع ...

لقد كان موسوليني رب أسرة في إيطاليا ، فانتهدت إيطاليا إلى
وضع لا تحسد عليه بحال ...

لقد مر بمصر رب أسرة وساس أمورها بأسوأ ما تساس به
الأمور حتى بلغت روحها الحلقوم ! ...

إن رب الأسرة قد يكون كارثة على الأسرة ...

ربما يجيء من بعدك رب أسرة قاس لا يعرف الرحمة ، أو
ظالم لا يعدل بين أبنائها ، أو طاغية يفسد على هذه الأسرة طعم
الحياة :

إن الإجراء الدستوري في اختيار رئيس الجمهورية عندنا فيه
قهر وقسر ، لأن مجلس الشعب يختار واحداً فقط ويقول لنحو
أربعين مليوناً هاكم رب جديد ، عليكم أن تقولوا الرأى فيه
ولا منحىص عن اختياره وأنتم صاغرون ! ...

تماماً كما يختار رئيس الجمهورية في الكتلة الشرقية ، أو في
حكومة الجنرالات في أمريكا اللاتينية ...

إن الاستفتاء نظام رجعي يمثل حكم الفرد ولا يتفق أبداً مع المتغيرات التي جاءت بها ثورة التصحيح :

إن الاستفتاء كان أمراً منطقياً مع الحكم السابق الذي كان حكماً دكتاتورياً لا رأى فيه لأحد إلا لرئيسه الذي حكم كأنه الواحد الأحد ! ...

ولست أرى رأيكم في تفسير معنى الديمقراطية حين تقولون عن اختيار رئيس الجمهورية عندنا « ليس في هذا أى تجاوز عن الديمقراطية ، ففي بلاد كثيرة يكتفى بانتخاب مجلس الشعب » لرئيس الجمهورية ...

وهذا القول على ظاهره صحيح ، بيد أن مجلس الشعب في الدول الديمقراطية التي ينص دستورها على أن مرجع اختيار رئيس الجمهورية إلى هذا المجلس ، يسمح دستورها بأن يتقدم إلى الترشيح لمنصب الرئيس أكثر من واحد ، ويجرى الانتخاب داخل المجلس بين جميع المرشحين الذين تؤيدهم أحزاب مختلفة أو كتل برلمانية أشبه ما تكون بالأحزاب ، وإكن مجلس الشعب في مصر لا يجرى انتخابات ، وإن أجراها فهو إجراء يثير السخرية والتنكيت ، وإنما هو يعين واحداً يفرضه علينا فرضاً ، ولو كان لهذا المجلس حق في إجراء انتخاب جدي للرئيس من بين عدة مرشحين لكان في ذلك

خطوة ضخمة في طريق الديمقراطية ولأصبح نقاشنا غير ذى
موضوع ...

وفي ظنى أن العجلة في ترشيح رئيس للبلاد ، سواء كان الأمر
انتماءً أو استفتاء ، فيها مجافاة لروح الدستور ، لأن البلاد كانت مقبلة
على اختيار مجلس جديد في ضوء نظام جديد . وكان يجب أن يكون
للأعضاء الجدد الممثلين للشعب حق اختيار الرئيس ، لا أن يترك
هذا الحدث الدستوري الكبير لمجلس أدار ظهره للعالم ولم يعد يمثل
الشعب على الوجه الصحيح .:

وفي معرض الخلاف بيننا على طريقة اختيار رئيس الجمهورية
جئتم لنا بمثل من الهند ، وجعلتم من نهرو صورة مشرقة لرب أسرة
جاء عن طريق الاستفتاء ... !

وعلى قدر علمى ، فإن رئيس الجمهورية في الهند لا يختار على
طريقتنا ووضعه هناك يختلف من الجذور مع وضع رئيس
جمهوريةنا ...

إن رئيس الجمهورية في الهند يرأس ولا يحكم ، إنه رمز لأكثر
ولا أقل ، و الهند في ذلك متأثرة بنظام الحكم الإنجليزي حيث يملك
الملك ولا يحكم .

ونهر و كبير الأسرة الهندية لم يأت بالاستفتاء بل جاء نتيجة

انتخابات حرة نال فيها حزبه أغلبية ساحقة ، وهو على أى حال كان رئيساً للوزراء ولم يكن قط رئيساً للجمهورية .

ثم ماذا ؟

تفضلت فأوحيت لنا بأن طريقة الاستفتاء تماشى « مع قيم مجتمعنا » وأنه لتحقيق هذا الغرض يجب أن نعود « لتقاليد القرية » وأنه بغير هذه التقاليد لن يستقيم لنا حال ، ولن يحسن لنا مآل ...

وكلنا يا سيدى الرئيس أو معظمنا نشأ فى القرية ونزح إلى المدينة ، ونقل معه كثيراً من أخلاق القرية وقيمها وتقاليدها ...

وليس معنى إعجابنا بالقرية أن المدينة كلها شر ، وإلا كان نصف مجتمعنا الذى تمثله القرية فاضلاً والنصف الآخر الذى ينزل المدينة شريراً ؟

إن فى القرية كثيراً من أخلاق المدينة وفى المدينة كثير من تقاليد الريف وليست تقاليد القرية خيراً كلها ! ...

فى المدينة يقتلون ، وربما يكون القتل لأمر كبير أو دافع ثقيل ، وفى القرية أيضاً يقتلون ، وأحياناً من أجل « كوز » من الذرة ! ... وفى القاهرة كبرى المدن المصرية ألف مثذنة لألف مسجد ، وجامع يضيق رحابها بملايين المؤمنين الذين يخشون الله ويعرفون عن

فهم ووعى تعاليم الإسلام ، ويعملون في ضوء هذه التعاليم الرفيعة ،
فلا يقتلون أو يسرقون أو يغتابون أو يرتكبون الآثام .

وفي القرية ، بالرغم من تدين أهلها ، لا نعدم مجرمًا يحرق
« الأجران » أو قاتلاً يأخذ بالثأر ، أو فاجراً يعتدى على حرمة ...

من أين جاء « الخط » الذي عاث في الأرض فساداً ؟

جاء من « القرية التي كانت تعمل الحبائث » .

أين تم تعذيب السيد المسيح ؟

تم في القرية الظالمة ...

أين اضطهد محمد عليه الصلاة والسلام ؟

كان ذلك في أم القرى ...

ليس كل ما في القرية جميلاً سواء كان في مضر أو في غير مضر
من بلادها في التاريخ تقاليد وعادات ،

إنك يا سيدى الرئيس تحكم شعباً نصفه الواعى في المدينة ،
وهذا النصف ، بالرغم من الأمراض الحضارية التي دخلت مدنه
يمثل القوة الأساسية في مقدرات هذا الشعب ، ولن تكون القرية
وحدها سند الحاكم أو الأسوة التي يتأثرها المحكومون .

لقد كنت أحلم بساعة أذهب خلالها إلى صندوق الانتخابات
فأغض البصر عن أسماء جميع المرشحين للرياسة ، وأختار إسماء ،

. وبذلك أحس أنني اخترتك بمحض إرادتي ، ولكنى اليوم قد وافقت على تجديد رئاستك لا إيماناً بطريقة الاختيار وإنما ثقة فى ذاتك :

ونأمل أن يُفطم الشعب فى سنوات حكمك الجديدة ، فىكون له حق انتخاب رب الأسرة الذى يؤمن به ، ولا يلزم برب يستفتى عليه ! ...

الصحافة حرة

في خطبة مارس ، وهي عصماء في جانب منها وبراء في جانب آخر ، جاء في حديثك عن الصحافة رفض شديد لفكرة تملك الأفراد للصحف ، وليس هذا من طبعك ، وهو اتجاه لا يستقيم مع حصيلة تاريخك ، بيد أنه للأسف الشديد جاء هذا الاتجاه الجديد نتيجة لتصرفات صدرت من أبناء غير شرعيين ادعوا الحق في ميراث عبد الناصر ! ...

ومهما يكن رأينا في الميراث وفي صاحبه ، فإن التفكير في صحافة حرة أصبح ضحية لتصرفات هؤلاء الأبناء ، وهذه التصرفات خلقت حالة نفسية غيرت رأيك الحر المعروف ، وجعلت هناك تناقضاً بين رأيك هذا وبين قراراتك التي وضعت موضع التنفيذ في مجالات الحرية والديمقراطية التي شملت معظم جوانب الحياة ...

وإذا كان الأستاذ محمد حسنين هيكل لم يتجاوب معك في « تسخين » المرقف قبيل حرب أكتوبر ، فقد كان الرجل متجاوباً مع نفسه ... إنه في عهد الرئيس عبد الناصر صرر لنا النصر على إسرائيل حليماً يعيش فيه المخدوعون ، وأن خط بارليف دونه العنقاء ، وأن نصف جيشنا المهاجم — إن نحن — ستشويه النيران

فوق مياه القناة ، ونصفه الباقي سوف تحصده مدافع الإسرائيليين
من خلف الخط الذي تداعى تحت وطأة النعال المصرية في أصيل
٦ أكتوبر المشهود :

فإذا جئت وأعطيت « أمراً » للصحف بتسخين الموقف بنشر
آيات الجهاد التي جاء بها القرآن الكريم ، فالرجل غير مؤمن أصلاً
بقدرتنا على الحرب ، وأنت تعلم أنه سجل على عبد الناصر أن القرآن
الكريم بآياته جميعاً كان في ضمير الرئيس الراحل وسدنة نظامه -
وهو واحد منهم - بدعة وأفيوناً وهو لا يؤمن بالبدع ولا يتعاطى
الأفيون ! ...

وأستغفر الله العظيم :

ومع أننى - مؤرخاً للصحافة المصرية - قد سجلت للرجل حقه
فيما نشرت من كتب ومقالات ، وبيّنت دوره الكبير في تطوير
جريدة الأهرام والارتفاع بها إلى قمة الصحف المصرية من حيث
الفن الصحفي والإدارة والتنظيم ، إلا أن التاريخ لن يغفل نصيبه
أيضاً فيما أصاب البلاد من نكبات وأرزاء .

ألم يكن مستشار الرئيس السابق في محن الداخل والخارج ؟
ألم ينحصر وحده بالأخبار الكبيرة والقرارات الخطيرة دون سائر
الصحف والصحفيين ؟

ألم يأذن له وحده بحصيلة الجريدة من العملات الصعبة يتصرف فيها على ما يهوى ويريد ؟

أما كان مختاراً للرئيس وزرائه وتشكل الوزارات في مكتبه في جريدة الأهرام ؟

ألم يقل مفاخرأ بأن وزير الزراعة يشغل وظيفة (الحولى) عنده ويشرف على مزرعته التى حولها إلى قطعة من جنان ؟

ألم تكن كلمة منه تزلزل أى كبير ، وكلمة منه تدعم أى صغير ؟ خمسة عشر عاماً وهو فى هذا السلطان ، فكيف تريد منه أن يفيق فجأة ويرى أنه كسائر الصحفيين عليه أن يلتزم (ويسخن) لك الجو توطئة لليوم العظيم ؟

وإنك لا ترى مبرراً لصحافة بملكها الأفراد ما دمت قد سمحت بالحرية لها وللعامة فيها ، ثم ذكرت فى معرض التحرير صحافة إنجلترا وقلت « أظن ما فيش أكبر من إنجلترا والسويد عراقة فى الديمقراطية وفى حرية الصحافة » .

وما أظن هناك أى وجه شبه بين صحافتنا وبين صحافة الإنجليز ! : ليس فى إنجلترا اتحاد اشتراكى له نصف ملكية الصحف ، ولا تعرف إنجلترا الحزب الواحد الذى يملك الصحف وغيرها من أدوات الإعلام ،

إن صحافة الإنجليز حرة سواء كانت ملكاً لفرد أو جماعة ،

ولا مراء في أن معظمها في صدر صحافة العالم التزاماً بالقيم الرفيعة ،
وهي — جميعاً — حين يجد الجدل تقف إلى جانب "حكومتها" مهما
يكن بين بعضها وبين الحكومة من خلاف .

وقد عشنا الحرب العالمية الثانية ، فكانت صحافة إنجلترا بين صحافة
المتحاربين جميعاً الوحيدة التي لا رقيب عليها ، وكانت تنشر أخبار
الحرب في صدق وأمانة دون أن تعتمد إلى تشييط الهمم على النحو
الذي عانيناه من صحيفة الأهرام في حربنا مع إسرائيل .

إن موقف الأهرام الانهزامي من « تسخين » البلد قبل حرب
أكتوبر كان نتيجة طبيعية لتأميم الصحف التي استبعدت منها
الشخصيات الحرة الملتزمة بالخط الوطني وحده ، والمؤمنة بمصر
لا بأصنام مصر ، وقد نصب على تحريرها بعض الصحفيين من
البطانة وتجار الأقلام ، ولو كانت صحفاً حرة لما رأينا هذه الوجوه
التي أفسدت مقدرات هذا البلد وساقته إلى هذا الدمار في شئون
الداخل والخارج على السواء !

ولم نذهب بعيداً ؟

لقد حاربنا إسرائيل في سنة ١٩٤٨ وكانت جميع الصحف ملكاً
لأفراد ، وكانت على رأس البلاد حكومة أقلية لا تمثل الشعب ،
يبد أن الحرب كانت حرب مصر والجيش جيش مصر ، وكانت
أبناء الهزائم معروفة لدى جميع الصحف وعند كثير من النخبة

الواعية ، ومع ذلك فإن جريدة المصرى لسان الوفد أكبر الأحزاب والممثل الحقيقى لقوى الشعب العاملة لم تنشر إلا ما من شأنه أن يشجع المحاربين ويدعو إلى حفز الهمم وشد العزائم ، وإن كان لها بعد الهدنة حديث آخر زلزل النظام وأطاح بحكومة الملك الذى غامر بسمعة البلاد وزج بالجيش فى حرب بلا روية أو دراسة أو إعداد ...

إن الصحف فى ذلك الوقت — مع بعض المبالغة فى المقارنة — كانت كالصحف الإنجليزية فى قضايا الحرب والسلام ...

ويقولون إن الصحف ملك الشعب لأن الاتحاد الاشتراكى يملك أكثر من النصف فيها ، والاتحاد الاشتراكى هذا قد أمضى سنوات عمره وهو يجاهد عبثاً لتكون له بالشعب صلة ! ...

لذلك ، فإن الصحف حين تتبع الاتحاد الاشتراكى لا يمكن بحال أن تكون صحفاً حرة ، أو صحفاً قوية ، أو صحفاً مؤثرة .

إن الحرية التى نراها اليوم فى صحف مصر مرهونة بوجود الرئيس السادات :

هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان ...

ولعلنى لا أتجاوز الواقع حين أزعم أن كل ما نستمتع به من حريات وسيادة للقانون ، وطمأنينة على العرض والمال ، مصدره وجود الرئيس السادات ...

بل لا أتجاوز الصديق حين أقرر أن النجاح الضئيل الذي حققناه
في قضية الانفتاح الاقتصادي مرجعه إلى اطمئنان المستثمرين ، سواء
كانوا عرباً أو فرنجة ، إلى وجود السادات ...

إننا نريد أن نؤصل كل ما حصلنا عليه من خير في عهدك
يا سيدى ...

نريد أن نجعل من نظام الحكم نظاماً ثابتاً له أصوله وجانوره ،
نظاماً قوياً قوة الرجل الذي يحكمنا حتى يطمئن كل الناس ، في مصر
وخارج مصر ، إلى أن وطننا مقبل على استقرار لا تؤثر فيه
المؤامرات و المغامرات أو الهزائم ...

وفي صدر ما يجب أن تؤصله حرية الصحافة ، أولاً حرية
لصحافة يملكها السلطان وتأتمر بأمر السلطان ! .

لقد أنصت إليك في خطبة مارس وأنت تحدثنا عن الصحافة ،
السلطة الرابعة كما سميتها وكما تسمى في جميع البلاد الديمقراطية
الحرّة ، فصدمت حين استمعت إلى كلمة بالذات وأنت تكشف
موقف هيكل من قضية حرب أكتوبر ، صدمت لأن الكلمة التي
صدرت منك يا سيدى الرئيس لا تتفق وحرية الصحافة ، ولا تمضى
مع رغبتك الحقيقية في وجود صحافة حرة تنتقد وتوجه وتبصر ،
وتسند الحكومة في القضايا الوطنية الكبرى دون أن تنقاد للسلطان
أياً كان قدر هذا السلطان ...

قلت « فأنا بقيت آجى فى كل مجموعة من دول وأسكن البلد ،
ترأدى (أمر) للصحف تنزل تحت صغيرة ... كده آيات قرآنية » ؛
ثم قلت « لما اديت (أمر) للصحف ... » إلى آخر الكلام ؛
ثم قلت « فاديت (أمر) للصحف طلّعوا آيات القتال كلها إلى
فى القرآن ... » إلى آخر الكلام .

إن الموقف فى تلك الأيام لم يكن فى حاجة إلى « أمر » بقدر
حاجته إلى توجيه المسئولين فى الصحف بطريقة أو أخرى إلى أداء
التزامهم نحو وطنهم ، وكان فى مقدور الحكومة وهى تمول الاتحاد
الاشتراكى الذى يصرف على الصحف ، أن يشير بنشر كل ما أشرتم
بنشره من آيات القرآن الكريم ولا بأس من التزيد بالأحاديث الشريفة
وكل أقوال السلف الصالح فى الجهاد والشهادة فى سبيل الهدف
العظيم :

كان يمكن تنفيذ كل ذلك دون .. أمر :
وإذا لم يكن بدٌ من (الأمر) فقد كنت أفضل أن يكتفى هذا
الأمر فلا يسمع به الناس لأنكم أكدتم لهم أن صحفهم حرة ، فإذا
عاموا أن السلطان « يأمر » الصحف ، فهى إذن صحف السلاطان
وليست صحفاً حرة بحال ! ...

ثم تتفضل فى خطابك ذاك فتعدد الأسباب التى من أجلها ترفض
تملك الأفراد للصحف ، فتقول إنك تخشى أن تخضع هذه الصحف

تمويل أجنبي أو لسلطان الإعلان ، أو تصبح لفئة من فئات الشعب
قادرة على تمويلها بالملايين وتعتبر ذلك « ضد كل فلسفتنا واتجاهاتنا » ،
إن هذا الحذر ربما كانت له مبرراته ، ولكن له أيضاً علاجه
الذي يطمئنا إلى حسن الخوازم :

إنك تخشى مثلاً أن يضعف صاحب جريدة أمام بجاه أو مال
فتشتريه دولة أجنبية كما هو الجارى فى لبنان ، فإن معظم صحفها
تمول فعلاً من خارج لبنان ...

إن داراً ضخمة من سبعة طوابق فى بيروت كان لنا فضل إنشائها
وازدهارها فى عهد الرئيس الراحل :

إن فى بيروت صحفاً تموّلها العراق أو ليبيا أو روسيا أو غيرها من
دول الشرق والغرب !

إن مصدر الحذر عندك أنك تخشى أن يحدث فى مصر ما حدث
فى بيروت نتيجة هذه التجارة فى إصدار الصحف المأجورة التى
تنشر البلبلة فى نفوس الناس :

وعلى قدر علمى بتاريخ الصحافة قديماً وحديثاً ، فإن لبنان فى
العالم كله هو وحده الذى يصدر صحفاً لبنانية بالإسم ، أجنبية بالهدف
والاتجاه ، وليس معنى هذا أن كل صحف القطر الشقيق على هذا
الغرار ، فإن قليلاً منها عرف قدر الصحافة كوظيفة اجتماعية ورسالة
وطنية وإنسانية .

وفي وسع الدولة حين تبيح لنا حق إصدار الصحف الحرة أن تعالج أمر التمويل الأجنبي بالقوانين الرادعة التي تصل إلى حد إعدام صاحب الصحيفة إن ثبت أنه عميل تمده بالمال دولة عدوة أو صديقة؛ وليس من بأس أن تسند حكومة مصر بالمال صحيفة ما ولو كانت معارضة ، على أن تتوافر في ذلك أركان العلانية حتى لا نعود إلى المصاريق السرية وما تشيعه من فساد في صفوف الصحافة والصحفيين .

وليس في ذلك بدعة ، فإن حكومة فرنسا وهي ليبرالية الاتجاه أعانت بالمال وبسخاء الصحيفة الشيوعية الكبرى التي دأبت على مهاجمة الحكومة ونظام الحكم نفسه ، حين تعرضت هذه الصحيفة لأزمة مالية هددتها بالإغلاق ، ذلك أن الحكومة القوية لا تخشى معارضتها بل هي تحرص — وذلك قمة الديمقراطية — على أن تكون الألسنة المعارضة متاحة وقوية . . .

وإن كنت تخشى يا سيدى الرئيس سطوة الإعلان على الصحف وترى أن في مقدور هذا الإعلان أن يشترى ذمة الصحيفة وأصحابها . فلننى زعيم لك بأن هذا غير مجد في كثير من الأحيان .

إن المعلن العادى في البلاد الرأسمالية لا ينشر إعلاناً إلا في صحيفة رائجة واسعة الانتشار وإلا كان معتوهاً يبلر ماله ، والإعلانات الضخمة أو ما يسمونه بالحملة الإعلانية تكون عادة لشركات ضخمة

يعمل مديروها بحذر ودقة حين يختارون الصحف التي يعلنون عن
منتجاتهم فيها :

ومع ذلك فإن الصحف المحترمة والتي تعرف قدرها لا يمكن
أن يشتريها الإعلان .

إن مجلة لواء الإسلام أو مجلة الدعوة لا يمكن أن يغريهما مال
قارون اتنشر إحداهما أو كلتاهما إعلاناً عن الخمر ... !

إن أحمد أبو الفتح رئيس تحرير صحيفة المصري كان يدخل في
معارك طاحنة مع قسم الإعلان حين يشعر أنه إعلان لا يتفق ومثل
الجريدة أو لا يوائم سياستها الوطنية أو عليه غبار ، وكان شقيقه
الأكبر المغفور له محمود أبو الفتح وهو علم في تاريخ الصحافة المصرية
ينصت بالموودة إلى رئيس التحرير الشاب ويبارك خطاه وينزل
عندما يراه ...

إن مجلة « بنت النيل » وهي مجلة نسائية أصدرتها درية شفيق
زعيمة الحركة النسائية منذ ثلاثين سنة ، رفضت أن تنشر إعلاناً عن
أحمر شفاه لا يزول مهما تطل القبلة !! :

وأشهد — وكنت مشرفاً على تحرير المجلة إذ ذاك ، وكان يعاونني
في تحريرها تلميذى وصديقى الأستاذ الدكتور خليل صابات الوكيل
الحالى لكلية الإعلام — أشهد أن الإعلان كان لمدة ثلاث سنوات
وحصيلته عدة آلاف من الجنيهات ، وكانت المجلة تمر في أزمة

مالية ، ومع ذلك رفضنا أن ننشر إعلاناً في الصحيفة النسائية الوحيدة التي كانت تدخل كل بيت ، وكنا في ذلك صادقين مع أنفسنا ومع الناس ، لأن الصحافة في عقيدتنا وظيفية اجتماعية وليست تجارة يعينها الربح مهما تحاصر الصحيفة بالآزمات ! ...

وأذكر في تاريخ (بنت النيل) أن مصادر إعلانها كانت تحتكرها شركة « متاتيا » وهي شركة كان يغلب عليها العنصر اليهودي في الأربعينات :

وأذكر أنني قمت بحملة ضد إسرائيل على صفحاتها في سنة ١٩٤٨ ، ولفت مدير الشركة — وهو يهودي — نظر صاحبة المحلة إلى ما أنشر من مقالات ، ومعنى لفت النظر هنا تهديد بقطع موارد الإعلان عنها ، ولكن زعيمة الحركة النسائية وهي صاحبة المحلة رفضت لفت النظر وأغلظت القول للرجل وردته في عنف واستعلاء ، ومرة أخرى كنا صادقين مع أنفسنا ومع الناس ...

هذه قصة الإعلان في الدول الرأسمالية التي يملك الصحف فيها أفراد ...

أما نحن فبلد تسوده العدالة الاجتماعية وليس فيه تجارة لأصحاب ملايين إلا في القطاع العام :

وتمثل إعلانات هذا القطاع الجزء الأكبر في دخل الصحف ، ولم يتمكن سماء هذا القطاع في الإعلان من وقف الحملات الصحفية

على قصوره وفساده وسرقات المسئولين فيه ، وتعقب كبارهم وصغارهم على السواء ، حتى رأينا الحكومة تتدخل بين آن وآخر فتقصي عن بعض شركات هذا القطاع العاجزين أو المفسدين وهي تحاول في استحياء تقويم المعوج على قدر المستطاع ! ...

يأتى هذا الإصلاح والصحف ملك للحكومة فكيف يكون الحال لو تحررت الصحف وبعدت عن السلطان ولم تجامل أو تداور أو يخشى محرروها الاضطهاد بالنقل والتشريد أو الوقف عن العمل مع صرف المرتبات !! وهى الإهانة الكبرى التى رضىها صحفيو مصر ثمانية عشر عاماً وباركها بعضهم نفاقاً « لولى النعم » أو حرصاً على رغيـف أسود فى زمن أسود رأينا فيه بعض الأحرار يبيعون أقلامهم أو يرضون قصفها عن طيب خاطر ، ثم يزعمون لنا بعد ذلك أنهم أئمة الفكر وأعلام الحرية وأصحاب الريادة فى الشجاعة والإقدام !! ثم ماذا ؟

إنك تخشى يا سيدى الرئيس أن تجتمع فئة من الناس وتصدر صحيفة وتعد ذلك كما جاء فى خطابك « ضد فلسفتنا واتجاهاتنا » : ! ولا أرى مبرراً لهذه الخشية أو خطراً على حياتنا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية إذا أصدرت جماعة من المواطنين صحيفة أو أكثر ، بل إن اجتماع فئة لتحقيق هذا الغرض أفضل عند الناس : وأجـدى على الصحافة من أن تكون احتكاراً لفرد أو احتكاراً للسلطان ،

(م ٤ - أقول للسلطان)

ولا أدري كيف يخالف ذلك « فلسفتنا واتجاهاتنا » على حد قولكم ، وفلسفتكم واتجاهاتكم واضحة وجلية ، فهي فلسفة حرية ديمقراطية ورغبة أكيدة في أن يتحرر القلم من الخوف وينأى عن النفاق والخداع ، « وألا يقهر رأى ولا يكبت فكر تحت أى ظرف وبأى سبب » .

هكذا قلت لنا ... لا فض فوك :

وقد تفضلت وذكرت أنه « حتى في إنجلترا والسويد يفكرون الآن في طريقة تعين بها الدولة الصحف مالياً دون أن تكون لها سيطرة عليها حتى لا يأكل السمك الكبير السمك الصغير ، أو تلجأ الصحف إلى مصادر تمويل خفية تنحرف بها عن الخدمة الوطنية المتوقعة منها ... » إلى آخر هذا الحديث الممتع عن ديمقراطية البلدين وحرية الصحافة فيهما ... :

إنهم يفكرون في البلدين تفكير فرنسا ، وقد ضربنا مثلاً في إعانة الحكومة الفرنسية لكبرى الصحف الشيوعية التي تعارض هذه الحكومة كل يوم وفي عنف وشدة !

وحين يكون الشعب ناضجاً لا يمكن لصحيفة أن تلجأ « إلى مصادر تمويل خفية تنحرف بها عن الخدمة الوطنية المتوقعة منها » : لقد كان في وسع الصحيفة الشيوعية الفرنسية أن تلجأ إلى روسيا خفية دون أن تقبل يداً من حكومتها ، بيد أن الصحافة الأصيلية في

الشعب الأصيل أكبر من أن تلجأ إلى هذا العار :

وهذا المثل الذى تفضلت وضربته عن إنجلترا والسويد هو إلى جانبنا وليس ضدنا ، فإن غاية ما نرجوه أن تكون فى مصر صحافة حرة كصحافة إنجلترا والسويد ، وأن تعينها بحكومتنا عند الأزمات كما تعين حكومة فرنسا الصحف التى تعارضها ، وكما يفكر الإنجليز والسويديون نفس التفكير الذى وضعته فرنسا موضع التنفيذ ! :

لقد كانت هذه الفقرة من خطبتكم فقرة « عصماء » إن صح التعبير وهى فقرة من طبعك وصدى لما فى قلبك ...

ياسيدى

إن مصر ، منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهى حقل للتجارب السياسية ... !

هيئة التحرير ماتت وهى فى عمر الزهور

اتحاد قومى نفق فى الطريق

اتحاد اشتراكى يبدو أنه يلفظ النفس الأخير ، وخاصة بعد أن سقط أمناؤه جميعاً فى انتخابات مجلس الشعب الأخيرة على صعيد مصر كلها من الأسكندرية إلى أسوان ... :

فما ضرنا لو أضفنا إلى الحقل تجربة جديدة ؟

ماذا لو أنشئت صحف لأفراد أو شركات ؟

إنها تجربة تضاف إلى سائر التجارب ... :

ومن يدري ؟ فقد تكون أنجح التجارب ، وبذلك تزين عهدك
بماسة تكسف وهج الشمس ...
إنها ليست تجربة فقط بل هي ضرورة للأحزاب الجديدة ::
ولما سوف يستجد من أحزاب ، فكل حزب في حاجة إلى صحيفة
وإلا كانت أحزاباً بلا ألسنة ، وأنت يا سيدى الرئيس لا تريد
أن تحكم شعباً من الصم البكم الذين لا يسمعون ولا يتكلمون ...

أجنحة الصنم

في أكثر من حديث قلم ، حفظكم الله ، إنكم لا تمنعون في وجود الأحزاب إن رأى الشعب قيامها ، وسجل ذلك محرر الحوادث اللبنانية ونشرت هذا الكلام صفحنا المصرية :

ثم عدتم بعد أكثر من سنة فقلمتم بأن « صيغة تحالف قوى الشعب الآن هي أنسب صيغة لنا تجنبنا الصراعات الحزبية التي تحدث اليوم في البرتغال » (١) :

ثم انتهيت في أكثر من خطبة وحديث إلى أن المنابر خير معبر للديمقراطية وأنها إن كتب لها التوفيق فسوف تتطور إلى أحزاب (٢) ورأيت أن هذه المنابر « نابعة عن إرادة شعبية أصيلة » لأنها جاءت بتوصية من « لجنة العمل السياسى » .

ومع أننى معروف بين خاصة الناس بكراهيتى للنظم الدكتاتورية

(١) الأخبار في ٢٧/١٠/١٩٧٥ .

(٢) قرر الرئيس السادات في افتتاح الدورة الأولى لمجلس الشعب في نوفمبر الماضى تحويل المنابر الثلاثة إلى أحزاب ، وبصرف النظر عن دستورية هذا القرار ووقفه عند الأحزاب الثلاثة الحالية ، فإنه قرار حكيم وعلى طريق الديمقراطية التى لن يعوق طريقها عائق بعد أن فضج الشعب وعرف في الانتخابات العامة بالآخرة كيف يميز ويختار .

وأظن أن كتيبي السياسية شاهد على ذلك ، فإنني حزنت أشد الحزن
لوفاة سان لازار دكتاتور البرتغال !

لقد جاءت وفاته نذيراً في قضية الحزبية والأحزاب ! ...

لقد مات الرجل فانفجر حنين شعبه إلى الديمقراطية والحريات ،
واختلط هذا الحنين بالدم والفوضى والحقد والكراهية ، وظهرت
أحزاب وأحزاب ، وإذا دنيا البرتغال تتقطع فيها أواصر المحبة وتفقد
فيها إنسانية الإنسان ، ويختلط فيها الحابل بالنابل كأنهم في يوم حشر
لا يعرف فيه الأخ أخاه ...

عندئذ رأيت ببصيرتك النفاذة أن البعض عندنا أخذ يفكر تفكير
أهل البرتغال ، فإذا لاحت في الأفق عندنا فكرة الأحزاب أخرجت
الأرض أثقالها بأكثر من عشرين حزباً أو عشرين منبراً وهو اللفظ
الذي اصطالحنا عليه عند ذكر الأحزاب ...

لقد كان في وفاة سان لازار وما ترتب عليها من مأس وحوادث
ونكبات ، دخل في تصرفات عقلنا الباطن ، فإذا الجلسات التي
بدأت في ظل « لجنة مستقبل العمل السياسي » تمت والمسؤولون عنها
لا يزال ناظرهم هذا الطائف الوارد من البرتغال .

واجتمعت اللجنة مرات ومرات ، ونفّس أعضاؤها عما في
نفوسهم من أفكار وآراء ، ثم اتخذت قرارات تماشى مع اتجاه
الاتحاد الاشتراكي الذي يذكرني دائماً بما كانت عليه فرنسا قبل

ثورتها في القرن الثامن عشر حين عاشت حياتها السياسية إذ ذاك في
أعنى نظام للطبقات ... !

١٠ واتخذت اللجنة قراراً بإنشاء ثلاثة منابر ، وبارك مجلس الشعب
ذلك القرار وأضفى عليه الصفة الشرعية حين تمت المباركة في تشريع
خاص ، وبذلك أصبحت المنابر « نابعة من إرادة شعبية أصيلة » (١) ،
وحتى يخف إلحاح القطاع الذي يدعو إلى قيام الأحزاب ،
رعدتم بأن وجود الأحزاب مرهون بنجاح المنابر ، ويبدو أنها
قد نجحت قبل أن تمارس نشاطها ...

١١ لقد أفرعنا موت سان لازار ، إذ فجر موته بركاناً هناك نحسينا
أن يصيبنا من حممه شيء إن سرتنا على درب البرتغاليين المشوقين
إلى الحرية ، المحرومين منها أربعين سنة أو تزيد .
ولا أرى وجهاً للشبه بيننا وبين البرتغال .

١٢ نحن نستمتع بالحياة الدستورية وإن كنا لانزال في أول الطريق ... ،
عندنا دستور قائم ونافذ ومصون الحرمات ...

١٣ وعندنا مجلس للشعب أثبت بعض الحيوية على مدى سنوات ... ،
وعندنا صحافة تستمتع بحرية لا بأس بها إن قيست بما كان قبل

ثورة السادات ...

١٤ وعندنا أمن واستقرار ...

(١) من حديث الرئيس مع جريدة السياسة الكويتية في ١٤/٨/١٩٧٦ م .

ثم قل عندنا خير الضمانات :. الحاكم الواعى صاحب المنجزات :
فما لنا وما يجرى فى البرتغال من سوء النظام واضطراب
الأحوال ؟

ولم يكون المثل عندنا كلما فكرنا فى صحافة حرة أو فى قيام
الأحزاب لبنان والبرتغال ؟ .

ولم لا تكون الأسوة فى الفرنسيين أو الإنجليز أو الأمريكان ،
وكلها شعوب تعيش حياة دستورية كما نعيش ، ولا ينقصنا من
حياتها إلا قيام الأحزاب وإنشاء الصحف الحرة لتكون السنة لهذه
الأحزاب أو السنة لغيرها من الأفكار والآراء ؟

أما الأحزاب فقد قامت ، وهو مبدأ لا يمكن أن يقف عند
الأحزاب الحالية التى تدور فى فلك الاتحاد الاشتراكى ، ولا بد من
قيام أحزاب مستقلة عن الصنم لتمثل أكثر من نصف الناخبين . !
وإذا كان قد سمح للأحزاب الثلاثة بإنشاء صحف خاصة بها ،
فلا بد أن يكون للأفكار والآراء الأخرى صحف تعبر عنها حتى
يستقيم عود الديمقراطية وتستقر أمور البلاد :

إن أحزاب الاتحاد الاشتراكى الثلاثة ، أو أجنحته التى سميناها
أحزاباً ، لا تمثل فى الواقع أحزاباً ، وإنما هى محاولة لتمثيل
الأيديولوجيات الثلاث ، اليمين ، والوسط ، واليسار .

واليمين كفهومه في الدنيا كلها ، يميل إلى التزمت ، وغالباً
يتمسك بكل قديم ، وحزبه سوف يمثل المحافظين ، وقد ينحرف
منبر المحافظين فيجئح إلى المطالبة مثلاً بعودة الملكية ! أو تكون له
نظرة في نظام الضرائب تختلف تماماً مع حزبي الوسط واليسار .
وقد عجبت أن يفخر قائد هذا الحزب بأن رئيس
الجمهورية قد أصدر قراراً بتعيينه زعيماً للمعارضة المكونة من
خمسة أعضاء ! ويحكى ذلك في ندوة تليفزيونية يشاهدها الملايين في
أسى وكأنها دراما تستحق الزفرات والحسرات ...
فهل سمعتم في دنيا الديمقراطيات أن خصم الحكومة تبوئه
الحكومة مكانه ، وتجري عليه الراتب والمخصصات ؟ ! ...
والله ، إنها لمضحكات مبكيات ...

واليسار ، كفهومه في الدنيا كلها ، يميل إلى الثورة على كل
ما يحيط به من أوضاع ، وهو يدعو إلى اشتراكية التجريد لا التملك
ويرى مذهباً صنماً يعبد ، ومن لا يعبد خائن وإمبريالي وعميل !!
ويرى الدين خرافة أو أفيوناً أو شيئاً لا يليق وحضارة القرن العشرين .
أما حزب الوسط ، فلا اعتراض عليه ، وهو يمثل كثيراً من
أحلام الناس وأمانهم إن صح ما جاء في بياناته ومنشوراته ، ووضع
وعوده موضع التنفيذ ، ولم يضحك علينا أو يسخر منا كما ضحك
علينا وسخر منا الاتحاد الاشتراكي فيما أصدر من منشورات وبيانات !
ولا تمثل الأحزاب الثلاثة في الواقع شيئاً من كل هذه الأيديولوجيات

لقد فرض علينا الإيمان بالصنم الأكبر وهو الاتحاد الاشتراكي وقد ألزمت بقلبه تدور فيه مهما تصب بالدوار والغثيان ، وفلكه . يفرض عليها أصناماً صغيرة تتمثل في : الالتزام بحتمية الحلول الاشتراكية ثم الالتزام بقضية الخمسين في المائة للعمال والفلاحين ، سواء كان ذلك في تكوين الصنم الأكبر أو في مجلس الشعب أو في اللجنة المركزية أو في غير ذلك من جهات ...

فأين اليمن المحافظ الذي لا يمكن أن يكون يمينا وهو لا يملك رفض هذا الالتزام ؟

وأين يكون اليسار وهو لا يرى الحكم صالحاً إلا إذا سيطرت البروليتاريا أي ديكتاتورية العمال ، التي تحيلهم إلى إماء وعبيد ، يطحنهم العمل في المصانع وسائر المؤسسات ، وليس لهم حق الشكوى إن أصابهم ظلم أو سوء ، / وليس لهم حق اختيار المهنة أو حق اختيار المكان ، والمشائق معدة لمن يجروا على الاحتجاج أو يجار بالأنين !

فالأحزاب إذن أجنحة خرجت من الصنم الأكبر وهو الحزب الوحيد في البلاد :

لقد أعلنت الأجنحة الثلاثة برامجها ، فإذا كلها برامج واحدة يختار في شأنها المواطن كيف يميز ويختار ، وإن كانت برامج اليمن واليسار مهلهلة لأنها تريد شيئا والواقع المفروض عليها شيء آخر ، وهي تحاول أن تلاثم بين أغراضها الحقيقية وبين مقتضيات الأحوال ،

وليس هناك صادق مع نفسه إلا جناح الوسط ، وهو على أى حال صورة صادقة للاتحاد الاشتراكي بما أذاع من بيانات ومنشورات . ومع ذلك فإن قطاعاً كبيراً من الرأى العام ، لا يستقبل هذه الأحزاب جميعاً استقبال المؤمن بأنها غاية الديمقراطية ، أو أنها سوف تصل بمصر إلى الاستقرار المأمول ، وآية ذلك نجاح نحو خمسين مستقلاً في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة ، وذلك تمرد ملحوظ على الصنم الذى فرض علينا قرابة عشرين عاماً أو يزيد ...

ويتساءل هذا القطاع ، كيف تحرم الأغلبية الصامتة من حزب لها تكون له صحيفة ، بينما سمحت الدولة بحزب للشيوعيين وأكثر من صحيفة تبث أفكارهم ، وتحاول أن تمر كس العمال والفلاحين ؟ إن الأحزاب الثلاثة خرجت من وعائها وهو الاتحاد الاشتراكي الذى يضم أربعة ملايين عضو فيما تقول البيانات الرسمية ، والذين لهم حق التصويت فى أى انتخاب قرابة عشرة ملايين فيما تقول البيانات الرسمية أيضاً ، فمن يمثل هذه الملايين الستة التى لا حزب لها ولا صحيفة ؟

إن أكثر من نصف الشعب غير ممثل فى مجلس الشعب !!! . ويتساءل هذا القطاع أيضاً ألم يعد فى السويداء رجال ؟ هكذا بعد خمسين عاماً مرت فيها مصر بتجارب سياسية ناجحة وفاشلة وبعد ربع قرن من قيام الثورة ، تمخضت مصر بملايينها

الأربعين فام تلد إلا ثلاثة ضباط يتقاسمون الرئاسة للأحزاب الثلاثة
التي سوف تحكم البلاد؟

إن الناس لا يرون عيباً في ذوات الرؤساء الثلاثة، فهم جميعاً
من أفاضل الناس، بيد أنها مصادفة عجيبة جداً أن يكون في مصر
عشرات الألوف من أهل الرأي والفكر، ثم ينضب معين كل
هؤلاء، فلا يصلح واحد منهم لرئاسة أى جناح؟ ! .

وهكذا عدنا دون أن ندرى إلى قضية أهل الثقة وأهل الخبرة،
وبقينا حيث كنا من ربع قرن نوثر أهل الثقة في سياسة أمور هذا
البلد، ونؤكد، ونحن نوصل إديمقراطيتنا، أن العسكريين وحدهم
ولا أحد غيرهم جدير بشرف الخدمة العامة، وهى هنا خدمة
ذات طابع خاص، الأصل فيها أن تكون للمدنيين، وحين تكون
للعسكريين فهى تجاوز واستثناء!!

لقد ورطنا نظام الحكم السابق قبل ثورة التصحيح بمئات أو
آلاف من الضباط وضعوا على رأس المصالح الحكومية أو على
رأس مؤسسات وشركات القطاع العام، ومن بين هؤلاء واحد
يرأس أكبر هيئة علمية في البلاد بينما يعتبر أقل أعضاء هذه الهيئة
مؤهلاً أن خبر منه بهذه الشؤون .

وهناك واحد آخر ينتحل لنفسه الإمامة فيتولى الدعوة إلى الدين
بلا عمامة...

إن هؤلاء جميعاً قد اغتصبوا كل هذه الوظائف من أصحابها المؤهلين لها دون أن تكون لهم دراية أو خبرة فيما يتولوا من أعمال مما ترتب عليه فشل نجر آثاره هذه الأيام .

والآن ، والثورة قد انتهت والشرعية الدستورية قد سادت ، فكيف يكون على رأس جميع مواقع المسئولية الكبرى العسكريون فقط ؟؟ وفي مصر من المدنيين آلاف من الكفاءات ؟

إننا نريد أن ننأى بالجيش والشرطة عن السياسة ومشاكلها حتى يتفرغ كلاهما لحماية الوطن في الخارج والداخل .

إن ما نشاهده اليوم في محنة البرتغال ، وما نعرفه من عشرات السنين عن مشاكل أمريكا اللاتينية ، كل هذا كان نتيجة حتمية لتدخل الجيش في أمور السياسة ، ونحن لا نريد أن نقيم عندنا ديمقراطية كما قامت عندهم في كنف العسكريين ، لأن ذلك سوف يغري فئات منهم بالتورط في الأعمال السياسية ، وهو ما يجب أن ننبه إلى خطورته من بيده الأمر ، فإن فيه خطراً على الحريات والدستور واستقرار الأمن والنظام .:

ثم ماذا ؟

إن هذه الأحزاب الثلاثة لن تستطيع أن تتحرك في حرية والصنم الأكبر قائم تعبد به ونقدس ما يدور في فلكه من أصنام ولا يجروا أحد على أن يمسك بيده معولاً ويقضى على هذا الإلحاد السياسي الذي عشناه عشرين عاماً أو يزيد .: !

وبعد ... فإننى واحد من المتفائلين بمستقبل وطننا العظيم ،
لا تخميناً أو وهماً ولكن بالشواهد ، فقد كانت للسنوات الست
الماضية منجزات ضخمة وقد عاد الرجل صاحب هذه المنجزات
إلى موقعة لسنوات ست أخرى .

إننى أرجو أن يخيّب الله ظن المتشائمين ، فلا تنتهى السنوات
الست الجديدة إلا ومصر تهباً لاختيار رئيسها بالانتخاب ، وتقوم
فيها أحزاب أخرى تتنافس على الخدمة العامة ، مبرأة من الهوى
بعيدة عن كل ما يشين ، ولها صحافة حرة ملتزمة بواجباتها لا تخضع
لرقيب ، ولا يشتريها مال ، ولا يغريها (إعلان) ولا تخاف السلطان
وتبقى ساحة للحرية وميداناً للجهاد ، ولا تؤمن إلا بخدمة الوطن
والمواطنين .

عندئذ يكون السادات قد أدى الرسالة ، وآن له أن يدخل
تاريخ من أوسع الأبواب ...

بين عهدين

وفي خطبة مارس وما تلاها من خطب أيام الاحتفال بمرور
أربع وعشرين سنة على قيام الثورة ، حملت سيادتكم على أولئك
الذين ينقدون الثورة وكأنها نخلت من كل فصل : ثم عدت لها
لإيجابيات وذكرت المحاسن ، وهي حقائق لا يمكن أن ينكرها
منصف ، وقلت إن الكتب التي صدرت وقد قرأتها كلها إنما تشيع
بذلك البلبلة في أذهان الشباب ، واتجهت إلى هذا الجيل مؤكداً
أن ما سبق الثورة كان كله سلبيات وأثمتة واستبعدت منه الفضائل
والمنجزات :

معدرة إن خالفته ، فأنت علامة على طريق الماضي قبل ثورة
٢٣ يوليو ، ومثل للمجاهدين في هذا الماضي ، وغيرك كثيرون
عانوا ما عانيت ، وجاهدوا ما جاهدت ، وتحذوا المظالم ، وحاربوا
الفساد ، وتحملوا في سبيل ذلك السجون والمعتقلات .

وبهذه الحقائق التي عشتها لم يخل الماضي من الشجاعة والشجعان .
ثم تقول يا سيدي إننا فيما نشرنا من كتب ومقالات نضلل
أولادنا مستغلين « جو الحرية إلى ما حصلش من أربعين سنة » .

ولننس تهمة التضليل التي ألصقتها بنا ، ولنكن موضوعيين :
ولا شك أن خطأ حدث في الزمن الذي حددته بأربعين سنة ،

وأكبر ظنى أنكم تقصدون السنوات العشرين الماضية ، فهي بحق كانت سنوات عجافاً لم يشهد فيها المصريون أى لون من ألوان الحريات ! ...

أما قبل الثورة ، فقد كانت البلاد تستمتع بحريات فى كل مجال خلال حكم الأغلبية وفى مقدمة هذه الحريات حرية القلم ...

ولا أريد أن أعقد المقارنة بين موقف الصحف الحرق فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وما أثارته عن قضية الأسلحة الفاسدة (١) أو ما كتبه من حملات صحفية مروعة ضد الملك وحكومته و بطانته وحماته الإنجليز ، وبين صحف الاتحاد الاشتراكي وتحاذلها فى نقد كارثة ١٩٦٧ وهى الهزيمة التى اعتبرها هيكمل نصراً لأن النظام باق والرئيس فى موقعه !

ولا أريد أن أعقد المقارنة بين الصحف التى حاربت الفساد والطغيان قبل الثورة ، فذلك تعرفونه فى صحف المصرى والاشتراكية وروز اليوسف وغيرها ، وقد ساهتم أنفُسكم بقلمكم على صفحات بعض تلك الصحف ، لا أريد أن أعقد المقارنة بين تلك الصحف وبين صحف الاتحاد الاشتراكي التى لم تجرؤ قبل ثورة التصحيح إلا أن تطبل للفساد وتصفق للطغيان ، وهو فساد وطغيان سجلتهما

(١) صدر حكم قضائى فى سنة ١٩٥٤ يؤكد أن الأسلحة الفاسدة لم تصل إلى

مصر إلا بعد انتهاء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

بالوثائق والأسانيد مئات المقالات في الصحف وعشرات الكتب
فضلاً عن أحكام القضاء ...

ثم صورتم الحياة النسابية قبل الثورة هزيلة لا ترقى إلى المستوى
الذى عرفته مصر في مجلس الشعب الأخير .

وإذا ذكرت بالحمد والثناء بعض المواقف المشرفة لمجلس الشعب
في عهدك ، فذلك حق ، بيد أن من العدل ألا نراه وحده جديراً
بالحمد والثناء ، ففي الماضي أيضاً كانت هناك مجالس شعبية تستحق
أن يسجل لها التاريخ أشرف الوقفات ...

لقد كان برلمان مصر في كثير من الظروف قدوة ومثلاً منذ
قيام الديمقراطية في مصر ، إنه البرلمان الذى جعل التعليم إلزامياً
ثم جعله مجانياً في معظم مراحله ، وجعله حقاً لجميع المواطنين كحقهم
في الهواء والماء (١) ، وأنشأ الجامعات ، وحرر المرأة ، ووزع
الأرض الزراعية التي تملكها الحكومة على الفلاحين بالحق ،
وأصدر من التشريعات العمالية ما يزال بعضها سارياً .

وفي البرلمان الذى رأسه سعد زغلول بالذات هوجم الملك
فؤاد لسفاهة وسرفه ، بالرغم من أنه كان طاغية يخشاه الجميع

(١) إننى بالرغم من تحيزى لهذا رأى الذى يرى أن التعليم حق للمواطن كالهواء
والماء ، فإننى أرى قصوراً شديداً في تطبيق ذلك ، إذ انصرف التلاميذ والطلاب
إلى الدراسات النظرية فأصبحوا عبئاً على المجتمع في الوقت الذى يكاد هذا المجتمع
أن يضطرب لنقص الأيدي العاملة الفنية في جميع مجالات الحياة .
(م ه - أقول للسلطان)

ولم يسلم أحد من شره وأذاه ، ووقف النائب أحمد عبد الغفار في سنة ١٩٢٦ يندد بميزانية القصر الملكي ويتحدث عن نهم الملك الذي رصد للكنافة التي يأكلها عشرة آلاف جنيه !! ورصد آلاف أخرى لكي ملابسه !

وحذف البرلمان من ميزانية الملك كل هذا التبذير .

وأنت تعلم يا سيدى الرئيس أن الحياة الدستورية في العهد الماضى لم تخل من إشراقات كان يطفىء نورها الملك والإنجليز ، وأن تطوراً كبيراً في حياة البلد كان يتم كلما جرت انتخابات حرة وجاء الفلاحون والعمال وسائر فئات الشعب بحزب الأغلبية إلى الحكم .

وفي مجلس النواب الأخير الذى نجاه الملك في سنة ١٩٥٢ وقامت الثورة في أعقاب حله ، أصدر أخطر القوانين "فألغى المعاهدة الإنجليزية المصرية وقرر وحدة مصر والسودان ، ورفض القوانين الرجعية ، وهاجم السراى في عنف ، وأيد الحكومة في حرب العصابات التى شنتها على الاحتلال في منطقة القناة وأصدر من التشريعات المفيدة الشيء الكثير .

إننا معك يا سيدى الرئيس في أن الفساد الذى عرفناه في سنوات ما قبل الثورة يجب أن يعرفه الجيل الصاعد ، كذلك يجب أن يعرف هذا الجيل الكسوف الذى طغى على شمس ثورتنا ، ولطخ بالقتامة

معظم صفحاتها حتى تتسم أقوالنا بالدقة ، وحتى إذا وزعنا الخير
والشر على العهدين لم يكن التوزيع قسمة ضيزى (١) :
أنت رجل عادل لا ترضى أن تبخس الناس حقوقهم .

إن وقتك يا سيدى الرئيس لم يتسع لتقرأ كل كتبنا ، أو لتقرأ
كل فصولها ، لذلك بدا أننا ضد الثورة ، وأنها نوجب حسناتها
وتبليبا أفكار الجيل الصاعد عامدين حين تعدد الأخطاء والجرائم
التي ارتكبت باسمها :

إننا معك بأنه لا يليق — كما تقول فى إحدى خطبك — أن يكتب
التاريخ على هذا الغرار !

ونحن من جانبنا نستاذنك فى مناقشة أولئك الذين يصورون
للجيل الصاعد أن كل ماسبق الثورة كان سوءاً ويأساً وخضوعاً
وضعفاً ، فإنه لا يليق منهم هم أيضاً أن يتحدثوا عن التاريخ ويرووه
على هذا الغرار !

لقد ضربت لنا الأمثلة على فساد الماضى الذى سبق الثورة ،
ونحن لا نجادل فيما ضربت من أمثلة ، وإذا كنت تتخرج من ضرب
الأمثلة عن الفساد الذى شوه وجه هذه الثورة ، فقد كنا نرجو ،
وأنت الزعيم المخضرم الذى عاش العهدين ، أن تعرج على ما كان
قبل الثورة من جوانب الخير ، لأن الدنيا لم تكن قط شراً كلها فى
أى عهد مر بتاريخ مصر من آلاف السنين :

(١) قسمة غير عادلة .

وصديقك الحمامسى زميل المعتقل طبع كتاباً أسود فى عهد
النهاس باشا زعيم مصر إذ ذاك ، وكان من أبرز ما فيه قصة تكليف
الزعيم لسفير مصر فى لندن ليشتري (روتار) وهو قطعة من جلد
الثعلب . لتلحف بها زوجة الرجل فى الشتاء ... واشترى السفير
(الروتار) وسدد الزعيم ثمنه من "حر ماله" !
كان هذا فساداً يستحق كتاباً أسود ... !!

فما رأيكم أكرمكم الله فيما اشتراه سامى شرف من بيروت بمئات
الآلاف من الليرات اللبنانية وآلاف الجنيهات الإسترلينية لاستعماله
الشخصى أو لاستعمال رب نعمته ، وخرجت كل هذه الأموال
من خزانة الدولة التى تظل عشرات الملايين من الغرايا الجائعين ؟ !
وما رأيكم فى جهاز العرائس من بنات صاحب السيادة أو بعض
أصحاب السيادة من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى اشترى من
باريس ولندن وروما وغيرها من البلاد ، وهم الفقراء المعوزون
الذين كانوا عند قيام الثورة يذكرون فقرهم يتباهون ويتحدثون ؟ ! ..
وما رأيكم فى ليلة القدر التى آثرت بخيرها بعض ضباط الصف
الثانى الذين قاموا بحصر تحف ومجوهرات القصور الملكية ، فإذا هم
وحدهم بين ضباط الجيش يبنون الفيلات الفخمة فى مدينة المهندسين
ويؤثثونها بفاخر الرياش ، ثم تضطرهم الحاجة يا ولداه فيبيعونها
بمائة ألف من الجنيهات ليسدوا الرمق ويواجهوا ذل الحياة ؟ ! ...
وهذا الضابط الذى آثرته ليلة القدر بالخير والبركات ، هل

سألتهموه - من باب العلم بالشئ - كيف تفتح طاقات السماء لتهمر
منها آلاف الجنّيات ؟

سألوه عن طاقات السماء ، ولا تسألوه من أين لك هذا الثراء ،
ودعوا لغيره هذا السؤال فهو قد قن وشرع للمملّقين الفقراء ؟ ...
كل ما نرجوه ، إجابة على سؤال ... هل حاسبته الضرائب على
الربح الحلال الناتج من مال حلال ؟ ! ...

وقبل الثورة قالوا إن الملك كان يسرق ليلعب القمار وكانت
بطانته تستغل مواقعها فتتاجر في قوت الشعب وتعتصر دم العامل
والفلاح ، فهل خلت البلاد بعد قيام الثورة من البطانة المستغلة التي
تلعب القمار ومن الذين يتاجرون في قوت الشعب ؟ ويستزفون
دم العمال والفلاحين ؟

فما رأيكم ، أعز بكم كلمة الحق ، فيما نشرتّه روز اليوسف عن
التاريخ السرى لحكم عبد الناصر ، فحدثتنا عن ذلك المملّحق العسكري
الأثير لدى قلب الرئيس ومشيره عبد الحكيم عامر ، والذي كان
يقامر وينحسر في كل شهر خمسة آلاف جنيه ، فيسددّها عنه المشير
بكرمه بعد أن يؤنّبه ، وكان المشير غفر الله له يؤنّب ذلك المملّحق
في كل سنة ثلثي عشرة مرة !! فكم من الشنين يا ترى لعب المملّحق
العسكري القمار ، وكم من الآلاف سمحت من خزانة الدولة ليسدّها
عنه المشير الجبار (١) ؟

وتزیدنا روز الیوسف تفصیلاً عن الفساد فی عهد الرئیس الراحل
فتذکر أن (بونات) سيارات نصر التي كانت صفوف النخبة من
أهل العلم والفکر تقف شهوراً وسنوات فی انتظار دورها لاستلام
سياراتها ، كانت (بونات) هذه السيارات فی حقیبة فنانة توزعها
على حلاقها وحائكها وعلى من تحب من أهل والأقارب ، وأصدقاء
الليالى الملاح الذين یشاركونها الأفس والبهجة منذ تغیب الشمس حتى
یلوح الصباح ؟ ! ...

ویحکی لنا منیر حافظ صاحب التاریخ السری لحکم عبد الناصر
فیذکر کیف استغل مكتب المشیر سلطاته ف عقد صفقات مع تاجر
أثاث ، یورد له أوراق الذهب وهی الأوراق التي تستعمل فی
تذهیب فاخر الأثاث ، وكانت هذه الأوراق الذهبية تدخل بكمیات
ضخمة بلا جمارك وتباع فی مصر بعشرين ضعف ثمنها ، وكان
للمكتب نصیب الأسد فی الأرباح (١) !

وقبل الثورة فصل محمد محمود باشا رئیس مجلس الوزراء وزیر
الزراعة وهو ابن شقیته ، لأن الألسنة أسرت للآذان بإشاعة كاذبة
تقول إن هناك علاقة وزیر بتاجر فاكهة ، وقال الرئیس للصحف
إنه یقیل ابن شقیته ولیس فی یمینه دلیل على الاتهام ، ولكنه
لا یرید أن یحكم بوزراء تحوم حولهم الشبهات ...

(١) روز الیوسف فی ١٧ مايو ١٩٧٦ .

وبعد الثورة لم تكن ذمة بعض الوزراء خالية من الشائبات ،
وفي هذا تحدثت الصحف والمجتمعات ، ومع ذلك كان عقاب الوزير
غالباً ترقيته في أول تعديل وزارى إلى منصب نائب لرئيس الوزراء
أو تعيينه رئيساً لمؤسسة في القطاع العام يسوعها كأنها إرث عن
الآباء والأجداد ؟ ! ...

وقبل الثورة هاجت المعارضة وحملت على أصحاب رئيس مجاس
الوزراء واهمهم باستغلال النفوذ لأن بعضهم استطاع أن يسترد
أطيانه وكانت مرهونة لسنوات ، وكان مثل هذا الاتهام الذى
لا يقوم عليه دليل يتخذ تعلقة لإقالة الوزارة في بعض الأحيان ! ...
وبعد الثورة شيدت كريمتا الرئيس الراحل فيللتين ، ونافسهما
في فخامة البناء كثيرون من الوزراء وغير الوزراء ، ولم يسأل أى
منهم من أين له المال الذى بنى به قصره في هذا الشارع الخالد الذى
سماه العامة ساخرين شارع البرنسات ؟ ! ...

وجاء في جريدة الأخبار بقلم الحمامصى في أغسطس الماضى
تساؤل صريح من الكاتب عن مصدر الثروة التى مكنت السيد
أشرف مروان من شراء عزبة لقرينته كريمه الرئيس جمال عبدالناصر
بعشرات الألوف من الجنيهات ، من أين له كل هذا الثراء ؟
ولم يجب أحد على التساؤل ، 'وغفا قانون من أين لك هذا ،
وغفت عنه أو غفلت عنه مصلحة الضرائب التى تطارد سائر
المواطنين بالعصا والكرباج ! ... ' .

وفي هذا الباب تروى عن هذا الشاب القصص والحكايات ،
وبعضها نشرته الصحف ، وبعضها سجلته الكتب ، وكثير منها يحكيه
العامة والخاصة على المقاهى وفي البيوت والمنتديات عن أحداث جرت
له في لندن وباريس وجنيف وغيرها من العواصم المبهجات ...
ولهذه القصص والحكايات ، أو غيرها من أسباب نحى فجأة
عن منصبه القريب من السلطان .

ومعذرة سيدى الرئيس إن ذكرت لكم "دهشة الناس لطقوس
العزل ومراسم التنحية" .

فأول مرة في التاريخ يعزل موظف ويعلق رئيس الدولة على
صدره نيشاناً من أرفع النياشين ...

ولأول مرة في التاريخ ينحى مواطن عن منصبه ويودعه رئيس
الدولة بخطبة يصوره فيها أفضل من أنجبت مصر من شباب المواطنين !
وذهل الناس للوظيفة الجديدة التى عين فيها الشاب المرموق ،
وفى مجال فسيح يدعو طوال اللسان إلى كثير من الكلام ، ويملاً
العقلاء بالضيق والقلق من ولاية حدث لمنصب يرأس فيه الأفرقة
واللواءات ...

أنا لا أحب أن آخذ الناس بالشبهات ، فقد يكون للحسد
نصيب فى الحملة على هذا الشاب ، وقد لقينا مثله فى شبابنا ألواناً
من العذاب من غير الحساد ، ولم تنج من الألسنة السليطة التى كانت
شنت حذتها كما أصبنا نجاحاً هنا أو هناك .

والفرق بين شبابنا وشبابه أن جيلنا لم يمر به واحد يمثل هذا
الانبوغ الذي أصبح مضرب الأمثال (١) :

إننى لا أريد أن أتعقب فى هذا الفصل كل ما أعرف من
سرقات وتسريب وإهمال ، فذلك أمر يطول شرحه ، وهو واجب
الأجهزة الرسمية قبل أن يكون واجب الكتاب الذين يناقشون
ما يسمونه سلبيات الثورة ، وهو تعبير يدلون به الجريمة أو يخففون
به وقع الحقيقة على الأسماع ...

ليس معنى هذا الذى نحكيه هنا أن الثورة هى المسئولة عن
كل هذا الفساد :

الثورة كانت حلماً حققناه ، وإن لها فى ضمير شعبنا مكاناً

(١) لقد ذكرت فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب تساؤلاً عن شاب مصرى
يتمتع بمركز ملحوظ فى العالم العربى سرقت منه فى لندن اسجهرات قيمتها خمسة
وأربعون ألف جنيه استرلينى ، ونقلت ذلك النبأ عن أخبار اليوم الصادرة فى
١٧ يوليو ١٩٧٦ .

وقد ذكرى مصدر رفيع المقام أن مراحل الأخبار فى لندن قد أبقى لجريدته
بعد أن اهتمت الدولة بهذا الخبر ، يؤكد أن هذه القصة مختلفة وقد كذبتها دوائر
اسكوتلانديارد .

وقد كان يجب على أخبار اليوم أن تنشر تصويماً لخطأ وقع منها حتى لا تترك
المشتغلين بنقد الشؤون العامة يقيمون فى نفس الخطأ ، لذلك حذف فترات هذا
الموضوع من هذه الطبعة ، فان الرجوع إلى الحق ، فضلاً عن أنه فضيلة ، فهو
اجب على كل مؤرخ يبنى الحقيقة ، وخاصة إذا كان استاذاً للتاريخ .

مرموقاً ينافس كثيراً مما سبقها من ثورات ، وقد جاءت لتهز المجتمع من الأعماق وتنضو عنه ما علق به من شرور وآفات ، وكانت ثورة أصيلة لولا تلك الطغمة التي استغلتها وعوقت مسيرتها وزحمت ثوبها الأبيض بكل هذه البقع السود

وللثورة حسنات ، وقد سجلتها يا سيدى الرئيس فى خطبائى الاحتفال بها فى يوليو الماضى فأبدعت فى العرض والتسجيل ، وكنا نرجو وأنت تتحدث إلى شباب الجامعات فى الإسكندرية ألا تعرى ما قبل الثورة من حسنات حتى لا يظن هذا الشباب أن آباءه وأجداده كانوا يعيشون فى مجتمع الغاب ...

وكان عجبى أنك وأنت الرجل الذى رد جميع الحقوق لأصحابها تضمن بنصفه الأموات من الأحياء !!

لقد عاشت مصر فى جهاد منذ ثورة سعد زغلول إلى أيام مصطفى النحاس :

لقد قاد الزعيمان جيلين من الأحرار ، ووضعاً أسس الحرية والديمقراطية بالرغم مما بثه الملك والإنجليز فى الطريق من معوقات ، ولقد نفيا وسجنا وأهينا أبشع الإهانات ...

لقد أحيا كلاهما ميت الآمال ومهدا لثورتكم ، ولولا مصطفى النحاس الذى أباح الانتساب للكلية الحربية لجميع الطبقات لقامت الثورة على أكتاف أبناء الذوات لتزيد من حقوق من تسمونهم الإقطاعيين ، على حساب سائر الفئات !

ولنكون صادقين مع أنفسنا ومع الناس سجلت لكم هنا كيف كان حال الشعب بعد الثورة نهياً لمراكز القوى عندما أصبح مال الدولة عند رئيس الدولة من المال الخاص ...

وإذا كانت المخصصات الملكية قد قررت لكل أمير من الأمراء راتباً وميزات ، فإن أعضاء مجالس الثورة يقتطعون من مال الشعب حتى اليوم « بقرار منهم » رواتب وميزات خرافية ، بالرغم من أن بعضهم يحسب اليوم على أصحاب الملايين بما عنده من تجارات واسعة ، أو مزارع تنتج أعداداً مهولة من البيض والدجاج وتغمر الأسواق بالفواكه والخضروات :

١. مئات الجنهات راتباً شهرياً لكل منهم ، وسيارة أو سيارات لخدمة العضو وأسرته ، وعلاج بالبحان في أفخم المشافي ، وانتقال بلا أجر بالقطر والطائرات ، وميزات أخرى سردها لنا روزاليوسف في أحد أعدادها منذ عام وبعض عام ...

ومن بين هؤلاء السادة النجب الذين كرموا أنفسهم فقرروا لنواتهم كل هذه المخصصات من ارتكب المظالم أو بارك الطغيان ، أو سكت عن كلمة الحق كأنه شيطان أخرس ليس له لسان ...؟! ويقولون إن قراراً جمهورياً نشرته الوقائع المضرة بمنح الضباط الذين حضروا ليلة قيام الثورة معاش الوزير لواجب أدوه لوطنهم وشعبهم ، وقد بطل رواؤه ومغزاه بهذا الجزاء وضاع الثواب الذي كان لهم عند الله وللناس ...

ويقولون إن نحو ستة آلاف مواطن يتقاضون معاش الوزير ،
وبعضهم لا تزال له مخصصات أخرى لم تسحب منه بعد فصله أو
بعد إحالته إلى المعاش . . .

ويحدثنا الأستاذ موسى صبرى عن سبع عشرة سيارة كانت في
خدمة السيدة الجلييلة حرم الرئيس الراحل أكثر من ثلاث سنوات
حتى قرأت تقدماً لهذا السرف في مقال أو كتاب ، فغضبت وردت
بعنف كثيراً من هذه السيارات التي بقي معظمها في خدمة أولادها
السلخ الكمّل الغارقين في الترف قصوراً وعزباً ومجوهرات وأنت
تحنو عليهم وتأتي أن تقبض يدك فتسترد هذه السيارات المعين لقيادة
كل منها سائقان ، وتأتي أن تقبض يدك عن سائر المخصصات التي
يزعمون أنها تكلف الشعب نحو مليون من الجنيهات . . .

ثم تطلب منا يا سيدى الرئيس أن نشد الأحزمة على لبطون !!!
ثم ماذا ؟

تحنو على زوج ابنة عبد الناصر النابغة الثانى حاتم صادق الذى
كان يرأس فى الأهرام قسم الدراسات والأبحاث ، ورضى بعض
المرتزقة من أساتذة الجامعات أن يعملوا تحت لوائه وهو فى سن
أولادهم وقبلوا أن يكونوا أدوات لشاب منحوه هم شهادة
البكالوريوس ، وهى كل حصيلته من لعلم والعرفان . . .

تحنو على هذا الفتى الذى راح فى كتف القذافي يسب مصر

ويفتري عليها (١) ويتحدث عنها وكأنها عزبة أو ملك خاص ، وكأنه المصريين فيها ملك ولي النعم حميه الراحل الذي له بصمات في كل مآثم أقيم هنا أو هناك !

كيف تغفر له وأنت لا تملك هذا الغفران بحال ، لأن المصريين ليسوا عبيد لإحسانات الرئيس السابق أو غيره من الرؤساء ؛

إن المصريين من حقهم أن يطالبوا بمحاكمة هذا الشاب المغرور لما صدر عنه في حق مصر وجيش مصر من إهانات ؛

وإن المصريين ليسألون الرئيس السادات كيف ينصت أرجاء أسرة عبد الناصر ويعفى هذا الفتى المدلل والوريث المقتون من حق الوطن عليه ، فاذا هو وحده من بين شباب مصر يستثنى من شرفه التجنيد كما كان الحال مع أبناء الأمراء والذوات !

يعيبون على ما قبل الثورة الاستثناء في درجة تمنح لقريب أو صهر لرئيس الوزراء ، ثم تستثنون مواطناً — مهما يكن نسبه — وتبيحون له حق الفرار من المعركة وهي تهمة عقوبتها الإعدام ؟ ! ،

رحم الله أخاك ، فقد كان أول الشهداء

ثم أقول في قضية المعتقلات والشجون في عهد الملكية والأحزاب وهي القضية التي حدثت الشباب عنها في خطابك الأخير ؛

أقول وأنت المعتقل القديم ، أحقاً هناك وجه شبه لما كان قبل الثورة وبعدها من سجون ومعتقلات ؟ ؛

(١) راجع مقالاً لموسى صبرى في أخبار اليوم في ١٨/١٠/١٩٧٥ .

وهل كانت المعتقلات في عهد حكم الأغلبية الوطنية كالمعتقلات
حين ولي الحكم صنائع الملك والإنجليز ؟

لقد قبضت النيابة العامة على الدكتور حسين هيكل رئيس تحرير
جريدة السياسة لسان حزب الأحرار الدستوريين ، وكان ذلك في
سنة ١٩٢٤ وكانت التهمة أن الكاتب سب رئيس مجلس الوزراء
بما يسقط اعتبار الرئيس عند مواطنيه ، وكان رئيس الوزراء حينذاك
سعد زغلول فكيف كانت أيام الدكتور هيكل في المعتقل في ذلك
الحين ؟

لقد كانت نزهة واستجماماً للكاتب الكبير ! أمر فيها سعد
زغلول أن تتاح للرجل كتابة افتتاحيات جريدة السياسة وهي لسان
خصوم سعد حتى لا يحرم المواطنون من رأى المعارضين !! ...
لقد جربت أنت نفسك المعتقلات والسجون ، فهل كانت حقاً
كالسجون والمعتقلات في عهد سلفك العظيم ؟

إنى أعلم أن سجين الرأى في تلك الأيام كان ينام على سرير ،
ويأثيه الطعام من بيته أو من جروبي أو من عند حاتى الكباب !
وكان يقرأ الكتب والصحف ، ويدخن السجاير والسيجار ، وكان
سجين الرأى المملق — على ما سمعت من بعض صحبي المعتقلين إذ ذاك —
تعيّنه الحكومة في الشهر بخمسة جنيهات ليوّظفها في شراء ما ينقصه
من حاجات ، وكان من حق المعتقلين من أصحاب الرأى والفكر

أن يتز هوا في فناء المعتقل في الصباح وفي العصارى وفي الأمسيات ،
ويلتقى الجميع في هذه النزعات ، وسجل لنا ذلك صديقك الحماصي
في كتابه (حوار وراء الأسوار) وهو يتحدث عن لقاءك به كل
يوم في المعتقل ، وكيف كنما تتدارسان أحوال البلاد ...

ثم جاءت سمون ومعتقلات ما بعد الثورة ، فكانت مجنونا سعيدة
فيها عشرات الألوف من المواطنين على النحو الذي حدثنا عنه
أحكام القضاء في قضية المستشار جريشة وقضية الأستاذ مصطفى أمين
واتهامات النائب العام في قضايا التعذيب وفي مقدمتها قضية كراسة
وقضية كميشس ، وغير ذلك من أحكام واتهامات يشيب لتفاصيلها
الولدان ، وقد نشرتها الصحف والكتب ، وخسبنا ما نشرته الصحف
والكتب من بيانات لنصف الماضي البعيد من الماضي القريب ،
وإن كان الإنصاف على حساب الأحرار في الجيلين على السواء :

وكي نكون عادلين ، يجب أن نذكر لأولادنا أن المصريين
عرفوا التعذيب أيضاً في السجون الملكية يوم مارسه حكومة صدقي
باشا في الثلاثينات ، في قضية البداري المشهورة ، وكان لذلك
ضجة أتم فيها رئيس النقض حكومة الطاغية واستقال على أثر ذلك
احتجاجاً وزير الحقانية (العدل) إذ ذاك ، وسقطت الوزارة بعد
قليل وسقط معها نظام الإرهاب ...

وعرف المصريون الإرهاب في الأربعينات حين تأزمت الأمور

بين حكومة السعديين والإخوان المسلمين ، وقد رد الإخوان على التعذيب باغتيال اثنين من رؤساء الوزارات ...

لقد كان عهد الملكية مليئاً بالشروع والمآسى والفساد ، وكذلك لم يخل عهد سلفك من تظير لهذه الموبقات ، وإن كان التفنن في هذه الحقول على عهده أشد ضراوة مما أثر عن العصور الوسطى أو عرف أيام هولاكو وكنجز خان ...

سمعنا في العصور الوسطى وفي شريعة الغاب عن هتك المذكور لأعراض الإناث ، ولم نسمع أن ذكراً بين الحيوانات هتك عرض ذكر مثله مهما تكن الدوافع والأسباب ، غير أن هذا حدث في سمون الثورة ومعتقلاتها ، وكان يحدث في حضرة المحققين في لجان التعذيب :

هكذا قال لنا النائب العام ، وقالت لنا أيضاً القضايا والأحكام ؟
يا سيدى

لقد قمت بثورة مايو ، وقلت إنها ثورة لتصحيح مسار ثورة ٢٣ يوليو ، وإذن فقد ضلت الثورة الأم طريقها ، وحين انحرفت كانت أكثر بغياً من كل عهد مضى !

ومن المستول عن ذاك البغى وذاك الانحراف ؟

المستول صاحب النظام ، وبعض أقرانه ممن قام على أكتافهم ذلك النظام ، ثم من بعدهم تلك الطغمة التى أمسكنا ببعض أفرادها ، ولا يزال أخطرهم يجمع بالحصانة وراء السجون والمعتقلات من

أمثال شعراوى جمعة وسامى شرف وغيرهما من الطواغيت العظام :
دعنا تقايا صريحة وإن أغضبتك هذه الصراحة ...

لأنهم هناك لتأمرهم على ما رجوته من حرية واستقرار ، ولكنهم
لم يسألوا بعد عما ارتكبهوه قبل عهدك من آثام ، فارفع يدك يا سيدى
ودع العدل يأخذ مجراه ، حتى يرى الناس المقارنة واضحة جليلة ،
بين العهدين ، عهد ما قبل الثورة ، وهو عهد لا يخلو من الشرور
والآثام ، ويتحمل هذا كله الملك والإنجليز وأدواتهما من حكومات
الأقلية والطغيان .

عهد ما قبل الثورة عهد لا نهون من شره ، غير أننا لا نبخسه
حقه أو نحجب منه جزاته ...

وعهد ما بعد الثورة ، عهد رجونا زماناً ، وسعينا إليه أجيالا ،
ودقت بالفرح قلوبنا حين أذن المؤذن بقيامه ...

إعهد ما بعد الثورة جريمة نرتكبها إن أغفلنا أفضاله ، وجريمة
أيضاً إن أخفينا بالرتوش ما كان فى وجهه من تغضن وسمات قباح .

لكم دينكم ولي دين

نحن لا نستعديك عليهم يا سيدى الرئيس ، فنحن نؤمن بحكمتك
القائلة بأنه لا يجوز مهما نختلف مع خصومنا أن يُقهر لهم رأى
أو يَكَيْت لهم فكر وأنهم أحرار مهما تجاوزوا في خلافهم معنا
أصول الحوار ، وإلا كنا مثلهم نفرض الرأى بالسوط والعصا ،
ونبث أفكارنا بالسجون والمعتقلات .

إنما نستميتك عذراً حين نسائل أنفسنا كيف تخصصنا وحدنا
بالعتاب المرير حين تتعرض للنظام الناصرى بالنقد الموضوعى لأدراجه
وأشجانه ، ولا ترد على هؤلاء القوم فيما ينشرون من كتب ومقالات ،
وهى لا تقف عند تزوير التاريخ البعيد والقريب ، بل تزور واقعنا
الملموس . !

لم نسمع منك نقداً لما سجله زميلنا حسنين هيكل فى كتابه وهو
يقارن بين انتصار عبد الناصر فى هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ وبين
هزيمتكم فى نصر أكتوبر ١٩٧٣ ؟ ! ...

لم تقل له إنه يضلل الجيل الصاعد كما قلت لنا ، ولم تعنفه لأنه
استغل حرية القلم ليزور الواقع والتاريخ !

لم تقل له إن عبد الناصر لم ينتصر لا فى سنة ١٩٥٦ ولا فى
سنة ١٩٦٧ بل انتصر فقط فى موقعين آخرين ...

انتصر في كرداسة وكشيش ؟ ! ...

لم تناقش السيدة هدى عبد الناصر فيما ذكرته من دفاع عن والدها العظيم في كتاب كُتب لها في جريدة الأهرام ، وهي تتحدث عن الأسباب التي ترك فيها عبد الناصر مراكز قواه تسرق وتتهب وتهرب ، وتقتل وتعذب ، وتنتهك أعراض النساء والرجال قبل الهزيمة وبعدها وتردنا بذلك إلى العصور الوسطى ، بل تردنا إلى عصور الغاب ، فقد ذكرت أن والدها ، غفر الله له ، ترك هذه الوحوش تعيش في الأرض فساداً وتزرع فيها الشر والحق ، ولم يتعرض لها بسوء خشية اضطراب المسيرة ونحن في حالة حرب كما تقول ، كأن الحرب شنت على المصريين لا على إسرائيل ! ...

لم تقل لها يا سيدى إنها تضلل الجيل الصاعد وتزور التاريخ ، لأنك استطعت بعد ثمانية أشهر من وفاة والدها ، ولم تكن في قوته ولا في سلطانه ، استطعت أن تقضى على مراكز القوى الطاغية الباغية ، لأنك رأيت في القضاء عليها ضرورة لحماية الحريات ، أما في عهد والدها فقد كانت هذه المراكز ترتكب المعاصي والآثام حتى لا تضطرب مسيرة النظام ويهوى صاحب النظام !

ولم تقل للسيدة الفاضلة إنها تزور التاريخ وتضلل أبنائنا حين تزعم أن نصر أكتوبر كان حصيلة لحرب الاستنزاف التي شنها والدها على أرضنا في الضفة الشرقية من القناة ! لم تقل لها إن تلك

الحرب إن كانت قد استنزفت من العدو قيراطاً فإنها استنزفت منا أربعة وعشرين قيراطاً . . .

لقد بذرتنا ذخيرتنا في غير طائل ، واستشهد من أبنائنا حملة المؤهلات العالية المئات في كل يوم ، ولم نتقدم خطوة على الأرض أو نسيطر على مساحة في السماء ، حتى أنقذنا الله بعرض روجرز الذي قبله الرئيس الراحل فوراً وهو في قمة السعادة ، وأعلن هذا القبول وهو في زيارة لروسيا عند أوليائه العتولة ، واستخفه الطرب فلم يأبه لضيقهم أو اعتراضهم .

وهكذا نجا والدها بعرض روجرز من نكسة أخرى ، وأنقذ من الورطة التي انزلق إليها وسميناها حرب الاستنزاف ! . . .

ولم تقل للأستاذ « بـُورين » : الذي أراد أن يقلد سكرتير نابليون ، إنه يضلل الناشئة ويزور التاريخ ويستغل حرية القلم بما نشر من مقالات في روز اليوسف .

ولم تقل له وهو السكرتير الذي منحه عبد الناصر لقب الوزير وراتبه ، إن صاحب مثل هذا اللقب ، لقب الوزير ، لا يصح أن ينشر هذه الترهات عن صديقك رفيق السلاح وهي تزخر بالإهانات له ولسيرته ولطرائق نظره في أمور الحياة ، دون أن يدري أنه ذم سيده من حيث كان يريد له الشاء !! . . .

إن « بورين » سكرتير بونا بورت حين كتب المذكرات سندها بالوثائق وأصلها بالأوامر الرسمية ولم يعمد إلى الشعارات والتهريج ،

ولم يسجل الأشياء الصغيرة الحقيمة عن ولى نعمته كما فعل الجيار
وزيرنا السكرتير سليل البيت الكريم ، فأساء إلى الثورة وأساء إلى
مفجر الثورة كما يسمونه ، وضور النظام عصابة ، والحكم غنيمة ،
ومصر ضيعة كالضيعة التي يملكها السكرتير الوزير أو يملكها آله
في محافظة البحيرة وعاصمتها دمهور ...

رحم الله النحاس باشا ، فقد كان له هو الآخر سكرتير يتعلق
بسيارته كما كان يتعلق السكرتير الوزير بسيارة زعيمه الخطير ،
وكان مثله (فتوة) له قوة عشرة من الرجال ، وقد حسدوه
وتفلسوا عليه النعمة حين منحوه الدرجة الخامسة ! وكان كما
أقيل النحاس فصلوه ! ...

ولم يكتب الرجل مثل تلك المذكرات التي كتبها الجيار ، والتي
ما قرأها مواطن إلا وأصابه الدوار والغثيان ...

ولقد كان اللورد إيدن حين كان الكابتن إيدن أو المستر إيدن
سكرتيراً لتشرشل رئيس الوزراء ، ولم تمنحه الوظيفة لقب الوزير ،
بيد أنه كان أهل علم ، وكان يمارس عمله فيعد خطب الرئيس ،
ويدرس ما يكلف به من موضوعات ومقترحات ، ويتعلق عليها
بالرأى السديد ، وكثيراً ما أخذ تشرشل بوجهة نظره فيما سجله من
آراء ، وكافأه تشرشل على ذكائه وألمعيته وجدده فعينه وزيراً للخارجية
ومع ذلك لم يتعلق الرجل يوماً بسيارة زميله رئيس الوزراء ، مع أنه
كان هو أيضاً ضابطاً ، وكان في شبابه « فتوة » ولم يكن « خيراً »

غير أنهم هناك في البلاد المتحضرة يعرفون قدر الوزارة والوزير... !
وكان كامل سليم سكرتيراً لسعد زغلول ، وكتب لنا الرجل
مذكراته وقرأها للملايين فتعرفوا على سعد وثورته في سنة ١٩١٩
وأحاطوا بتاريخ فترة هي أعظم ما مر بنا من فترات في تاريخ
مصر الحديث.

ألم يكن في وسع السكرتير الوزير أن يقرأ مذكرات كامل سليم
ليتعلم كيف يكتب أهل العلم مذكراتهم عن عظماء التاريخ ، وليعفيننا
من هذا الحشو الذي بدأ به صفحات من المجلة وكان يمكن أن يكتب
فيها شيء مفيد ؟

وكان محمود سليمان غنام سكرتيراً أيضاً لسعد زغلول زعيم
مصر الحالد الذي كان معتقلاً في عهد عبد الناصر كما اعتقله الإنجليز
في مالطة وسيشل ، وتفوق الرئيس الراحل عليهم ، فحظر ذكر
اسمه في الصحف والمجلات ، وحذف من كتاب التربية الوطنية الذي
وزع على تلاميذ المدارس في سنة ١٩٥٤ دور الزعيم في ثورة ١٩١٩ ؟ !
وتدرب غنام وتعلم على يد سعد العظيم حتى أصبح فيما بعد
وزيراً ، ولم يفخر كما افتخر السكرتير الوزير بأنه « خادم » الزعيم
بل سجل في كتاب أنه كان ابناً لسعد وتلميذاً يعرف مقام زعيمه العتيد ،
ولم يتعلق قط بسيارة الزعيم ، وتسامى فيما كتب ولم ينزل إلى ما نزل
إليه السكرتير الوزير الذي له في بيته أصالة وفي تاريخ أسرته سند
يرفعه عما نزل إليه من تافه الحكايات وفطير الأحاديث ؟ !!!

وتُرى وأنت تؤدبنا يا سيدى الرئيس وتتهمنا بتضليل الناشئة
وتزوير التاريخ ، وتقول لنا هذا عيب وهذا لا يليق مع أننا نروى
وقائع عشناها وعاشها معنا الملايين ، ترى هل قرأت « الصامتون
يتكلمون » وفيه اتهم رفاق السلاح زميلهم بكل قبيحة ولم يتركوا
من تصرفاته شيئاً إلا وأثموه ؟

ألم يتهمه واحد منهم بأنه كان يرتب المؤامرات ويشترى المتظاهرين
ليطيح بمحمد نجيب ، وأنه أصر إن عجز عن مطمح ذاك أن يزججه
بأى طريق ، وألح إلى طريق الدم إن فشلت مظاهرات العمال
ولم ينجح لضراب المضربين ؟

أما كان يجدر أن ينال منك صاحب هذه الرواية عتاباً ولا أقول
توبيخاً وهو القائل فى عبد الناصر « زعيمنا وقائد نهضتنا ورائد
زحفنا المقدس ... » وهو القائل فى سياسته « فى ظل قيادته السديدة
وزعامته الرشيدة ... » ووصفه بأنه « القائد الملهم الذى سيقود
الوطن من نصر إلى نصر » ؟

وإذا كان الصامتون — باستثناء كمال حسين الذى عاش مأساة
نعرفها جميعاً — صادقين فى حملتهم على زميلهم ووصفيهم وقائد
مسيرتهم ، فنحن أيضاً كنا صادقين فيما روينا عنه وإن لم نذهب
مذهبهم فى الطعن والتجريح ...

وإذا كنت تلصق بنفسك نصيباً فى مسئولية الحكم أيام عبد الناصر

ألم يكونوا هم أيضاً مسئولين مع الراحل فيما نزل بالبلاد من نوازل
وفيا أصابها من نكبات ؟

أما كان هؤلاء في حاجة منك إلى عتاب كما عاتبنا وهم يروون
عن عبد الناصر أبشع ما روى من أخبار ، وليس لهم عذر فيما روه
لأنهم شركاؤه مشاركة مباشرة في تلك الأحداث الحزينة ، كذلك
الزميل الذي قص حكاية النزعات الدموية في سلفك بعد أن مدحه
في حياته ، إذ جلس على منصة القضاء في محكمة الثورة أو مهزلة الثورة
يصدر أحكاماً ظالمة باغية فيمن كان لهم في تاريخ مصر أشرف
المواقف وأكبر التضحيات ؟ وكان ثالثهم يلعب في مصر دور
(شاخت) في عالم الاقتصاد حتى انهار اقتصاد البلاد ! ؟ ..

ألم يكن هؤلاء السادة يتصرفون في مواقعهم بلا ضابط ويقضون
في الأمور بلا رقيب ، وارتفعوا بذواتهم فوق النقد ، وحكموا بلادنا
هم وزملاؤهم الآخرون من أعضاء مجلس الثورة كما كان يحكمها أسوأ
الفراغة قديماً أو كما كان يحكمها قراقوش في عصور الظلام أو كما
كان يحكمها محمد علي في العصر الحديث وإن كان محمد علي يتميز
بأنه شيد بلداً وأسس دولة ، وأبرز كفايات وحقق منجزات ،
وليس كعهدهم السعيد الذي سقطت فيه مصر في عين المجتمع الدولي ،
وقضى فيه على الإنسان المصري ، وتدهورت فيه منجزات أجيال
سبقتهم ، وبدأت الحكومة عصابة تهب وتسرق وتقتل وتشرد ؟ ...
أما كان يجدر أن تحاسبهم على ما كتبوه وهم يتنصلون من كل

هذه المصائب التي عمت البلاد بجهدهم المشكور ! وتقول لهم كما قالت لنا : استمحووا يا قوم فآثاركم قائمة بيننا ولن تستطيعوا أن تزيلوها أبناؤنا أو تزوروا التاريخ ؟ ! ...

أيرضيك أن يعتمد ثالهم في كتاب هدى عبد الناصر إلى تزوير التاريخ الذي يعرفه العالم كله ، فهين الإمبراطور نابليون بونابرت أو يسقط من اعتباره عند العسكريين والمدنيين جميعاً ، فيعقد مقارنة بينه وبين الراحل عبد الناصر ؟

إن صفة واحدة لم تجتمع في الإثنين ...

لقد كان بونابرت أعظم عسكري ظهر في تاريخ البشرية ، وقاد الجيوش الفرنسية بنفسه في البرد البريد والحر الحرور ولم يقدها إلى الفشل والدمار من حجرة مكيفة الهواء ؟

لقد عاش حياته كلها بين قعقة السيوف وصليلها ، وبني أمجاده في ميادين الوغى يقود بنفسه جيشه عبر الدماء والغبار وصهيل الخيل ، ورئيسنا الراحل منذ عاد من حصار الفالوجة لم يمارس وظيفته قط ، بل تحول إلى مدني هوايته الحكم على النحو الذي مل الناس من وصفه ، وكلت أقلامنا من شرحه !

وكانت لنابليون مواقع حربية خالدة كموقعي مارنجو وأسترلتز ولم يهزم قط في أي حرب خاضها ، وحتى حين تحققت هزيمته في الواقعة الوحيدة والأخيرة لم تهزمه الدنيا التي تقلبت عليه وتكاثفت ضده ، بل هزمته الطبيعة حين أغرقت مدافعه في الأوحال التي

نشأت عن الأمطار الغزيرة التي تزلت على غير ميعاد ... وما أظن الرئيس عبد الناصر كان له في مثل هذا التاريخ العسكري أى وجه مماثل ، أو شبه أو نصيب ...

وحين نظر نابليون فى شئون الداخل بعقله الراجح وعلمه الغزير ولماحته منقطعة النظر ، أبدع وأجاد ، ونظم الأمور فى إطار من الجدية والعمق والتركيز ، ولم يترك الحكم فوضى لا بيد حواريه يفسدون أعماله ونواياه ، ولعل من أعظم منجزاته المدنية « قانون نابليون Code Napoléon » الذى أشرف بنفسه على صياغته ، وترك به لفرنسا والعالم أعظم تشريع مر بالتاريخ ، ونحن فى عهد عبد الناصر عصفتنا بالقانون وفصلنا القضاة ، وعينا القضاة من أمثال الدجوى ليحكموا على الأحرار وأصحاب الفكر بالإعدام ؟ ... وهل جاءك نبأ كتاب كمال رفعت أمين الفكر والدعوة الذى نشره وسماه .. « ناصريون ؟ .. نعم ؟ » .

إنه كتاب ممتع فى أسلوبه ندرت فيه أخطاء النحو واللغة ، وهو جدير بالقراءة على سبيل التفكهة لأنه صورة ممتعة لما تضمنه الميثاق وسجله بيان مارس ، وهو متعة فيما احتوى عليه من الشعارات الطنانة والألفاظ المحملة ، والعبارات التى تشبه الأحاجى ، ولا يفهمها إلا صاحبها وقد لا يستطيع ... !! .

وسكرتير الفكر هذا — ولأول مرة فى التاريخ يكون للفكر سكرتير — يدعى أن الناصرية باقية تزدهر وتزدهر وهى كل يوم

في ازدهار ، وأن الرجعيين أمثالنا ذاهبون إلى جهنم بجللهم العار ،
وأننا واقفون على رمال سافية كل يوم تغوص فيها أجسامنا بمقدار ،
وأن نعال الناصرية سوف تبطأ رءوسنا حين تغطيها الرمال ، ومن تحت
نعالهم أى من فوق رءوسنا سوف تعود الناصرية إلى مجدها القديم ،
وتعود معها السجون والمعتقلات ، وتنكس من جديد أعلام الحرية
وسيادة القانون ، وتصبح مصر مرة أخرى ضيعة لسكرتير الفكر
ومن لاذ بأفكاره من السذج والمعتوهين ، ويا لها من أفكار ! ؟ ...
كان بودى يا سيدى الرئيس أن تقرأ هذا الكتاب لترى كيف
يضللون الجيل الصاعد ويسمون أفكاره ، ويمجدون له الساتر
الترابى الذى يقف خلفه الناصريون عرايا يخشون أن يهطل المتن
فيذوب التراب !! ...

كان بودى أن تقول لهم ما هذه النكتة السمجة السخيفة التى
تسمونها الناصرية ؟ ألم تسقطوا جميعاً فى انتخابات مجلس الشعب
حين لبستم قميصها المهلهل أمام الناس ؟

كنت أرجو أن تقول لهم استعجوا فليس هناك ناصرى إلا إذا
كان مأجوراً أو موتوراً أو جاهلاً أو مجذوعاً أو فقد العقل والاتزان ،
فاذا أصروا بعد ذلك على ناصريتهم فإن الحنازير وحدها لا تسعد
إلا إذا تمرغت فى الوحل والطين ؟

وما دمت قد قرأتم مقالاتنا وكتبنا ، فقد قرأتم بالطبع مقالات
كتب إخواننا الشيوعيين .

وقد عجببت أنكم لم تجدلوا فيها ما يستحق النقد والتقريع ،
فخلت خطبة مارس وما تلاها من خطب من أى ملاحظة أو
تعليق عما كتبوه سواء فى شئون الدين أو الدنيا ، كأن ما تعرضوا له
من تعاليم الدين وأفكار أئمة الإسلام لا يرقى إلى مرتبة عبد الناصر
الذى ما خلت خطبة من خطبكم إلا ووجهتم السهام لسانئله ! ...

أنا لا أناقش إخواننا الشيوعيين فى الصنم الذى مجدوه وعبدوه ،
فلهم دينهم ولى دين غير أنهم حين يلبسون لينين قميص المسلمين
ويزعمون أنه كان حامى حمى الإسلام ، وهو أكفر من كفر وأعتى
زنديق عرفه البشر ، لا يجوز أن يمر هذا التضليل الأولادنا ، وهذا
التزوير للواقع والتاريخ دون أن يكون لسيادتكم رأى فى الموضوع (١)

وهل صحيح « أن حرية الكلمة والشورى بكل أصولها » من صنع
الماركسية ؟ وأن زعيم الشيوعيين فى مصر يستغرب أن ذلك موجود
فى « أصول التشريع الإسلامى ؟ » (٢) .

كيف فاتكم يا سيدى الرئيس أن تعلق فى خطبة من خطبكم على
أن هذا التضليل والتزوير إنما هو من زعيم الشيوعية فى مصر تمسح
بالإسلام ليوهم السذج بأن الماركسية تأخذت أصولها من ديننا الحنيف ؟
وهل صحيح أن من لا يدين بالشيوعية رجعى وعميل ؟

(١) إلى محرر الأخبار فى ١٤/١١/١٩٧٥ .

(٢) أخبار اليوم فى ١٩/٦/١٩٧٦ .

وأنت صاحب شعار العلم والإيمان ، فهل هذا الكلام يتفق مع العلم ويمضى مع الإيمان ؟ . . .
لينين يدافع عن الإسلام والمسلمين والشيوعيون في روسيا حاولوا الجوامع والكنائس إلى حظائر للماشية وإن أكرموها بجعاوها مكاتب للموظمين ؟

لينين يدافع عن المسلمين ؟ ومسلمو روسيا مات منهم الألوف في منافي سيبريا ومخون موسكو وغيرها بعد تعذيب طويل أو قصير ؟ كل ذلك لقيه المسلمون في روسيا لأنهم تمسكوا بعقيدتهم الإسلامية وإيمانهم بوحدة الله ، ورفضوا دين الإلحاد الذي مكنه في روسيا لينين ومن بعده ستالين وسار على دربهما وقفى على أثرهما سائر الزعماء الشيوعيين ؟

كيف يصور لنا واحد من الصحفيين المصريين لينين الزنديق داعية للإسلام وحامياً للمسلمين ؟

أين ما يسمونه ميثاق الشرف الصحفي ؟ أين المجلس الأعلى للصحافة ؟ .. أهما حقيقة أو هما من الرموز والشعارات ؟

نحن لا نستعدى أحداً على أحد ؛ وإنما نريد أن يُسأل هذا الكاتب عن وثائقه التي تؤكد رعاية الشيوعية للإسلام والمسلمين ؟ فإن عجز حق للسيد الرئيس أن يعلن على الملأ في أول خطاب له أن الشيوعيين يفضلون الجيل الصاعد ويزورون التاريخ . . . !

لقد اتهمتنا يا سيدى الرئيس بالتضليل وتزوير التاريخ لأن لنا

رأياً في عبد الناصر تشهد على صحته الملايين ، فكيف تستثنى إخواننا الشيوعيين مما ألصقته بنا وليس إلى جانبهم أحد من المصريين يؤكد صدق ما يزعمون ؟

وكيف نكون وحدنا المضللين المزورين ، والشيوعيون يزعمون للناشئة الساذجة التي تنقصها الخبرة والتجربة ، أن حرية الكلمة والشورى لم تعرفا في العالم إلا في تعاليم ماركس ولينين ، وأن الأديان السماوية تفتقر إلى الوضوح في شرح معاني الحرية والشورى ، والديمقراطيات الغربية تمارسها بجماعة من الرأسماليين العفنين المستغلين الفقراء والمساكين ؟

وحتى يُفَيِّقُ المخدوعون نذكرهم أن الكلمة التي تنشر في أى صحيفة في البلاد الشيوعية تخضع للرقابة والرقيب ، ولا يمكن لمواطن أن ينشر رأياً يخالف النظام الشيوعى في جريدة أو كتاب ، ولو نشر هذا الرأى بطريقة أو أخرى أدخل صاحبه إلى مشافي المجاذيب ، لأن صاحب الكلمة الحرة في الوطن الشيوعى معتوه أو مجنون !! : والكلمة المنداعة أو المراثية حكر على الحزب الشيوعى وحده ، وإن لم ياتزم المذيع بالنص المفروض عليه ، أو أدلى برأى لا يستقيم ونخط النظام ثقل هو الآخر إلى السجون أو منافي سيبيريا ، وإن ترفقوا به اعتروه ملتاثاً وأودعوه مصحات المعتوهين ! ...

إن ماركس وورثته يعتبرون حرية الكلمة والشورى أمرين يخصانهم وحدهم ... وهم فقط الأحرار ، والشورى يجب ألا تتاح

لروسي خارج أسوار الكرملين ، تماماً كما يستمتع أعضاء الحزب وحدهم دون المواطنين جميعاً بالفجل والبصل الأخضر والخيار وهي من الخضر النادرة ولا تباع إلا بالعملات الصعبة ، غير أنها تزرع أيضاً للقادة وأعضاء الحزب في حقول من زجاج مكيفة الهواء... ولا أعضاء الحزب ولجانة الرئيسية أحياء برمتها لا يقطعها غيرهم ، ولا يسمح لمواطن بارتياحها أو العبور منها ...

ولأعضاء الحزب وحدهم حق امتلاك السيارات الفخمة المستوردة من أوروبا وأمريكا كالمرسيدس والكاديلاك وما في مرتبتهما من سيارات .

ويبدو أعضاء الحزب وحدهم في بزات قماشها إنجليزي ، ويطوقون رقابهم (بكرافات) من صنع جاك فات وغيره من منتجي أعلى وأعلى أربطة العنق في فرنسا ...

وينتعل أعضاء الحزب وحدهم أحذية واردة لهم خاصة من إيطاليا وإنجلترا وسويسرا ...

ويتوسط شوارع موسكو الفخمة طريق محده خطان وقد خصصت سيارات المسؤولين في الحزب وللسادة الحكام ، وحرم حتى على سيارات الإسعاف والإطفاء أن تستغاه في خدمة المريض أو إطفاء لحريق ، ومن خرق القانون واستعمل الطريق الخاص أخذه الشرطة من قفاه إلى حيث يقع عليه التصاص ؟ ! ...

بهذا كله وبأكثر منه روى لنا تلك الحكايات صديق عمرى صلاح الشاهد (١) وكان أقرب الناس إلى قمة البلاد ، وزار موسكو في لصحية تلك القمم تسع عشرة مرة ، فأذهله ما رأى من نعيم يستمتع به زعماء الشيوعيين في كل موقع هناك .

إن الشيوعيين الذين يطالبون اليوم بحرية الكلمة ونظام الشورى ويطلبونهما بلا قيود أو حدود ، إنما يطالبون بهما زلفى إلى كراسى الحكم فإن وصلوا إليها عفا الزمن على الكامة الجرة وأصبحت الشورى في خبر كان ...

يقولون إنهم ماركسيون ولكنهم مساحون ، وأنهم من فرط تدينهم يعتمرون ويحجون ، وينشرون صورة وصفيية لنبي المسلمين ، ولا أدري كيف يكون الإنسان على دين ماركس الذى يرى الدين ، أى دين ، أفيوناً ، وفي الوقت نفسه يرى الماركسى فى الدين ملاذه ، ويطوف بالبيت ويزور مئوى الرسول ، ويستدر دموعه عند كلهما كأنه يبكى كما يبكى المؤمنون الصالحون !

ولإخواننا الشيوعيون ياتمسون الوسائل لتحقيق حلمهم فى مركسة المصريين ، فهم يختلفون إلى الجوامع والمساجد كسائر المؤمنين ،

(١) الأستاذ صلاح الشاهد شغل منصب كبير الأمناء فى عهدى عبد الناصر والسادات ، ومن قبل كان إلى جوار جميع زعماء ما قبل الثورة ممن تولوا رئاسة مجلس الوزراء ، وله كتاب حديث اسمه « ذكرياتى بين عهدين » وهى ذكريات لأيامه فى المناصب الدقيقة التى تولاها وعاش أحداثها الكبيرة بمالم يعيشها أحد من الناس .

وينشرون في صحفهم مقالات تفيض بالخشوع والإيمان العميق ،
وينشرون مقالات أخرى يبدو فيها الإلحاد أوضح ما يكون !

بل إنهم يلبسون هم أيضاً قميص عبد الناصر ، بالرغم من
أن نظامه مات في ظله شيوعيون وعذب في أعطافه شيوعيون ونزل
منهم المئات في المعتقلات والسجون ، ولم يكن الرجل إلا عدواً لهم
ولعقيدتهم ، وهو القاتل لمدوب جونسون ، ليس لي بالشيوعية
علاقة حب ... وأنا أعتبر الشيوعيين عملاء غير وطنيين وغير
مؤمنين !

وننقل هذه الفقرة من مذكرات علوى محافظ وعليه الوزر
إن كان غير أمين ، أو كان مفتعلاً لهذه المذكرات ونشرها سعيًا
وراء الشهرة كما يزعمون (١) :

ولا يعنينا قال فيهم الرئيس الراحل ذلك أو لم يقاه ، فهو —
غفر الله له — كان يرضى ويسمخظ حسبما تملئ الظروف ، وسيرته
مع الشيوعيين كانت يوماً وكأنها علاقة بين كبش وقصاب بسكين ! ...
ومع ذلك ينافسون غيرهم في إرث عبد الناصر ويرتدون قميصه
كما ترتديه اليوم جماعة فرنجية في لبنان ، وهم جميعاً عاشوا
سنوات في حياته على سب الناصرية والناصرين !

وإنخواننا الشيوعيون يضيقون ذرعاً إذا خطت حكومة السادات

(١) من مذكرات علوى محافظ المنشورة في الأخبار في ١٩٧٦/٨/٢ .

(٧ - أقول للسلطان)

خطورة نحو السلام ، ويعتبرون مثل هذه الخطورة تصفية لقضية فلسطين ، وإذا آزرناه في هذا الاتجاه اتهمونا بالتصفوية والرجعية والعمالة والإمبريالية ، وغير ذلك من ألفاظ الهجاء التي يفيض بها قاموس ماركس ولينين ...

وللذكرى فقط أسجل للمخدوعين في الشيوعية والشيوعيين أن روسيا كانت الدولة الثانية التي سبقت العالم كله في الاعتراف بإسرائيل سنة ١٩٤٨ ...

وأذكر أن روسيا قبضت يدها عن تزويدنا بالسلاح لا في عهد السادات فقط بل في عهد عبد الناصر أيضاً ، وكل ذلك حتى لا نهزم إسرائيل ، وحتى تبقى إسرائيل شركة في جنب العرب ، وحتى تبقى مصر تستنزف أموالها وخيرة أبنائها في حروب فاشلة ، ومن ثم يكون للشيوعية مجال في شعب أسخطه الفقر وأفسده الحرمان ، وأهدرت كرامته الهزائم على مدى ربع قرن من الزمان .

وإذا رأينا أن في يد أمريكا وحدها — وهذا رأى الروس أيضاً — حل القضية ، وأنها وحدها القادرة على توجيه إسرائيل إلى السلام والنزول على مطالب العرب ، قالوا أنتم عملاء الاستعمار ! ...

وأسأل إخواننا الشيوعيين ، أين هو الاستعمار ؟ ومن فينا العميل في هذا الميدان ؟

لقد انتهى استعمار الفرنسيين والإنجليز من العالم كله ، ولم تعد لهم — على قدر علمي — مستعمرة واحدة في أي مكان .

١ وحتى الأمريكان الذين تورطوا في الشرق الأقصى إلى جانب قطاع عريض من أبناء تلك البلاد الكارهين للشيوعية قد تخلصوا من هذا التورط وقامت علاقاتهم بحكومات الشرق الأقصى الجديدة على شيء من المودة أو على شيء من الحياد :

وأسأل إخواننا الشيوعيين ، هل ما حدث في المحر سنة ١٩٥٦ حين قامت جمحافل الروس باحتلال ذلك البلد رغم أنف أصحابه وثبتوا استعمارهم هناك في بحر من دم المحررين ، هل كان هذا عملاً من أعمال السلام الذي جعلوا له جائزة باسم لينين ؟

وإذا جاعوا بعد ذلك بسنوات واحتلوا تشيكوسلوفاكيا وهي من أرقى الدول الأوروبية ، ونفوا زعماءها وحرقوا شبابها وهدموا بيوتها ومعالمها ونقلوا إلى بلادهم مصانعها ، هل كان هذا عملاً عظيماً يستحق التحية والتعجيد ، ويؤكد أن روسيا حقاً نصيرة للضعيف من الشعوب ؟ ! ...

وكيف يقول لنا الشيوعيون إن روسيا نصيرة للشعوب ، وإنها نذرت نفسها ووهبت مالها وسلاحها ونفوذها الأدبي لتحرير الشعوب الضعيفة التي ترزح تحت مطارق استعمار لا وجود له اليوم إلا في أوهام إخواننا الشيوعيين ... كيف يقولون ذلك ويذكرونه بمناسبة وبغير مناسبة كأننا من البلاءة والسذاجة حتى نصدق أن غزاة المحر وتشيكوسلوفاكيا قد اجتاحتوا البلدين للقضاء على استعمار بغرض ؟ ! ... ، إن الروس وحدهم اليوم هم المستعمرون ...

وإذا ساءت لهم مناقشاتنا في قضية الاستعمار المزعوم ، وأكذوبة
روسيا نصيرة الشعوب ، قالوا أرجعيون يكتبون ويتمحدثون ...
ولماذا نحن رجعيون؟

نحن رجعيون لأننا نؤمن بالله وكتبه ورساله ...
نحن رجعيون لأننا نؤمن بالقيم الأخلاقية الرفيعة ...
نحن رجعيون لأننا نريد الحرية لكل إنسان ...
نحن رجعيون لأننا أنصار النظام الديمقراطي السليم ...
نحن رجعيون لأننا ضد المعتقلات والسجون وهتك الأعراض
وتعذيب الأحرار المحاهدين ...

نحن رجعيون لأننا نحارب سرقة أموال الناس وممتلكاتهم بحجة
التحول الاجتماعي وبغير ذلك من حجج يزعمها اللصوص والمرتشون ...
نحن رجعيون لأننا نرفض حكم الغاب الذي يأكل فيه القوى
الضعيف ...

نحن رجعيون لأننا لا نقر أسلوب الروس في معالجة أمور
الخصوم بقتل أربعين مليوناً ليسيطر المذهب الشيوعي ويسود ...
نحن رجعيون لأننا لا نضلّل الناس ولا نبليّل أفكار الناشئة
ولا نزور التاريخ ...

سوف نمضي على ما فطرنا عليه ، نقول كلمة الحق مهما يغضب
الغاضبون ...

« وف نقول للسلطان ، هنا حدث خطأ ، وهنا أصبت الهدف ،
هنا لم يرق له قولنا فقد حملناه ورزقنا على الله ، والله ولي الصادقين »

تغليق الانفتاح

إذا جاءك نبأ بأن تعويق الانفتاح مرده إلى ما عندنا من فساد ،
فتلك أكذوبة تطلقها هيئة المنتفعين بالانغلاق :

وإذا كنا قد رأينا الفساد في هيئة الأوقاف وغيرها من هيئات ،
فإنه موجود في إنجلترا وفرنسا وأمريكا وهولندا واليابان ، وهي
جميعاً من أعظم دول العالم ، وسوف تجد الفساد عندهم مارداً
يتربع في حجر أمراء ووزراء ورؤساء حكومات (١) ...

وإذا كان الفساد عندنا قزماً ، فهو حصيلة الفقر والإملاق ،
وهو ليس طبعاً فينا ، بيد أنه سيجية في تلك البلاد التي ما كان يجب
أن يعرف الفساد طريقه إليها ، وهي بلاد متحضرة يسودها الرخاء ،
وبعضها في نخمة من العز والمجد والثراء ...

ومع ذلك كله فهي بلاد تستمتع بكل أنواع الانفتاح ...
صحيح أن المستثمرين يلقون عندنا المتاعب في السكنى ونقله
الطريق ووسائل الاتصال ووسطاء السوء وغير ذلك بمن معوقات ،
ولكن تغليق الانفتاح لا يكمن في هذه المتاعب التي يشكو منها
المستثمرون الأجانب والعرب والمصريون على السواء ...

هل يمكن لهذه المتاعب أن تكون عائقاً في سبيل الانفتاح

(١) في قضية شركة لوكهيد خير دليل .

الاقتصادى الذى يدعو إليه رئيس الدولة ويتبناه فى صدق ، ويحرص على تحقيقه ويرجو من ورائه اجتياز ما خلفه لنا النظام البائد من بلاء؟ لقد ذكرتم لنا يا سيدى الرئيس فى حديث صحفى « أنه لا توجد معارضة لسياسة الانفتاح ، ولكن معظم موظفى الحكومة تعودوا على السلبية ... وأجهزة الدولة أصابها الشلل والجمود على مدى ١٨ سنة ... » .

ثم تقول فى هذا الحديث « أنظر عبر ١٨ عاماً كان هناك ستار حديدى حولنا مع وجود قوانين جعلت كل مواطن سلبياً تماماً » (١) .

وعدتم فى أكثر من موقع فى هذا الحديث فأكدتم أو كررتم معنى هاتين الفقرتين اللتين نقلناهما عن حديثكم ، ثم ذكر لكم المحرر أن بعض وزراءكم من مدرسة أل ١٨ سنة ومدرسة الستار الحديدى والسلبية والجمود والشلل ، وعقبت على ملاحظته بأنك تتولى بنفسك سياسة الانفتاح ، وتجاهد فى سبيل ذلك وتركب الريح بالهيلوكوبتر إلى مواقع العمل وتحركها وتدفعها إلى النشاط .

ومع ذلك كله فإن ما ذكرته ليس عائقاً هاماً فى سياسة الانفتاح ، إن العائق الأكبر لا يريد الرئيس أن يدخله فى حسابه ، ومنذ قليل

(١) من حديث الرئيس مع محرر | انستيتيو شونال | انستور كبرى المجلات الاقتصادية الأمريكية - راجع آخر ساعة فى ٢٥ أغسطس ١٩٧٦ .

حدثنا عنه في إشجاعة وتحد وهو يخطب في ذكرى قيام الثورة التي
فجروها أنزىل من حياة الشعب كل العوائق والعقبات...
« إنه الصنم الذي يخافه المستثمرون عامة والعرب منهم خاصة ،
الصنم الذي أقدمناه كما أقول سيادتكم لنعبده ، ونطوف به ولترنم
باسمه في فيض من الشعارات السقيمة والأغاني التافهة والأناشيد
التي لا تثمر ولا تفيد .

الاشتراكية النابعة من أنفسنا ! است أدري كيف ينبع من
أنفسنا السمحة الكريمة المواتية هذا الصنم الذي حطم كل عرف
وأساء إلى كل نشاط وأفسد المودة وقطع عروق المحبة بين الفئات...
إن لفظ « الاشتراكية » لفظ سمج وسخيف وعاجز ولا وجود
له اليوم في أي نظام اقتصادي معروف .

هناك فقط الشيوعية وهو نظام تعافه الأنفس المؤمنة بكل جميل
وجليل وعلى تقيضه يقوم مذهب آخر نسميه الرأسمالية ، وهو
كالاشتراكية يكاد يفقد معناه مما حققته البلاد التي تعيش في أعطافه
من عدالة اجتماعية .

إن لفظ « الاشتراكية » ترجمة غير أمينة في التعبير عن « العدالة
الاجتماعية » التي تدعو إليها جميع المثل الرفيعة والأديان السماوية
ونحن لسنا شيوعيين ، وإن نكون بإذن الله ، لأننا نطبق من
القوانين ما يذيب الفوارق بين الطبقات ، ويحقق العدالة الاجتماعية
بين هذه الطبقات .

وإذا كانت الدول العربية تمدتنا بالعون ، قليلاً أو كثيراً ، فهى معونة حكومات تثق فى حاكم مصر ، لأنه عندها صمام الأمان وليس فى غيره ضمان ، أما أفراد الشعب العربى ، فلفظ الاشتراكية مرتبط فى أذهانهم بصنوف من العذاب جربوها هم أنفسهم أو شاهدوها فى أصدقائهم من خيرة المصريين :

ففى ظل الاشتراكية أتمت مصر أو وضعت تحت الحراسة شركات ومصانع وعمارات الأجانب ، وصادرت أموالهم من بيوتهم ومن خزائنها فى البنوك ، ومن بين هؤلاء نال العرب نصيب الأسد ، وحتى الملك فيصل لم ينج من التأميم والمصادرة ، فانتزعت منه أرضه ، وهى المساحة التى بنى عليها فندق شيراتون ، أخذوها منه قسراً دون مراعاة لمقامه ، ودون اعتبار للعلاقات الدولية التى تحمى حتى صغار الدبلوماسيين فى أى ظرف من الظروف .

تماماً كما يسطو اللصوص على قوم آمنين !!

يرتبط لفظ الاشتراكية فى أذهان العرب بالسجون والمعتقلات ، ألم يأمر الرئيس الراحل بالقبض على مجلس وزراء اليمن حين نزل من الطائرة وهو الذى دعاه إلى الحضور ليفض خلافاً قام إذ ذاك بين هذا المجلس وبين رئيس جمهوريتهم السلال ؟ ثم أودع جميع هؤلاء الوزراء المعتقل لعدة شهور ! ...

إن العرب لا يؤمنون بهذه الأيديولوجيات التى تتعارض فى كثير من أهدافها مع الإسلام ومع سائر الأديان .

إن الاشتراكية التي سميتها في خطابك (الصنم) تفزع إخواننا العرب : لأنهم حطموا الأصنام منذ أربعة عشر قرناً !
لأنهم حاثرون ...

تقول في خطابك في يوليو الماضي سائخاً متبرماً ، إتنا جعلنا من الاشتراكية صنماً وجلسنا نعبده حتى توقفت في اقتصادنا شرايين الحياة ، وهو قول مطمئن لرأس المال ... ثم تبقى على الاتحاد الاشتراكي وهو قاعدة الصنم أو وعاؤه !

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تنتظم في إطار هذا الصنم ثلاثة أجنحة هي التي ستمحكم مصر وتسوس أمورها ونظمها وفي مقدمتها النظام الاقتصادي الذي تدعوهم إلى تأييده وتدعيمه بما يملكون من ملايين :

ثم تعين حارساً جديداً للصنم ، وهو المدعى الاشتراكي ، وفي الدولة أجهزة قضائية من وظيفتها حراسة أموال الدولة والناس :

ربما كانت هذه الوظيفة صالحة يوم كان الأمر لما تسمونه الشرعية الثورية ، أما اليوم وقد دخلنا في نظام تسوده الشرعية الدستورية ، فإن هذه الوظيفة أصبحت غير ذات موضوع ، لأنها تجافي روح الدستور بالرغم من أن ذكرها جاء في الدستور ، وتخالف سيادة القانون لأنها تضيف إلى حراسة البلع الوقورين حارساً بسروال قصير ! ...

هذه الوظيفة الفريدة في دنيا القانون تخيف العرب وغير العرب حين يفكرون في استثمار أموالهم ورأس المال كما تعلمون جبان :

وقد نكص أكثر من مستثمر عن المضي فيما شرع من خطى الاستثمار بعد ذلك التصريح الخطير الذي أدلى به المدعى الاشتراكي (١) لجريدة الأهرام في شهر سبتمبر الماضي (٢) يتوعد فيه المستغلين من أصحاب العمارات والشقق المفروشة بالوضع تحت الحراسة والسجن إلى أمد طويل أو قصير :

ومرة أخرى أوكد بأن رأس المال وافداً أو مقيماً ليست فيه شجاعة ليحتمل العودة إلى الحراسة والسجون ...

ويقول بعض المستثمرين إن آفاق الاستثمار مغلقة في وجوههم في كثير من الآفاق ...

يطالبون أحياناً إذناً بمصنع للنسيج أو شركة لتصنيع الدواء ، فيقال لهم هذا وقف على القطاع العام ، وهو واحد من الأولاد الصنم ، والصنم لا يؤثر أحد على هؤلاء الأولاد ؟ !

ويقال لأدوات الانفتاح وهي بقية من نظام الراحل الكبير وهم

(١) المدعى الاشتراكي الحالى الأستاذ أنورا طه حبيب زميل الصبا والشباب ، وكانت تربطني بشقيقه الأكبر المرحوم الأديب الكاتب العالم وأحد شيوخ المترجمين في مصر مصطفى حبيب روابط أقوى من وشائج القرى ، ورب أخ لم تله أملك ...

والمدعى الاشتراكي موضوع نقدي هنا له تاريخ وطني معروف وعلى قدر علمي فقد لقي من طواغيت الاشتراكية كثيراً من المتاعب والمعاناة ...

(٢) جريدة الأهرام في ١٦/٩/١٩٧٦ .

في أكثر من موقع يفسدون أياما المشرقات ، ويحاولون تعويق المسيرة إن لم يكن في المقدور هم نفس ما صنعت من منجزات ...
يقال لهم ، لقد أثقلتم على مواطنيكم بايثار و ليد الاشتراكية
الكسيح الذي تسمونه القطاع العام ، والذي احتكر أهم الصناعات
وسيطر على أكبر التجارات ، فارتفع بسوء تدبيره وسرفه وسفهه
سعر النسيج إلى عشرة أضعاف سعره يوم كان أمره إلى القطاع
الخاص ، ومثاله زادت أسعار الدواء وندرت في الأسواق وإن
وجدت فكثير منها فاسد نتيجة الإهمال والتسيب والسرقات ، فضلا
عن المستوى الرديء الذي يعرضه هذا القطاع في كل مجالات التصنيع
والإنتاج ؛

ولكنهم أصم لا يسمعون ، وبكم لا ينطقون ، إذ ليس من
هدف لهم إلا تخليق الانفتاح ؟ ...
إنها كارثة تواجه أي مستثمر ، سواء من الوافدين أو من
المصريين أصحاب النشاط الخاص .

ويقول إخواننا العرب ...

عظيم أن يكون على رأس مصر زعيم ديمقراطي متفتح كالسادات ،
بيد أن هذا الزعيم يحكم للأسف الشديد بجهاز منغلق ديكتاتوري تثير
أدواته المتاعب في وجه كثير من المشروعات ، مما يذكرنا بأسلوب
النظام السابق الذي حارب رأس المال الخاص سواء كان للمستثمرين
الأجانب أو للمصريين أصحاب البلاد .

ويقولون ...:

صحيح أن وجود السادات على رأس مصر ضمان لرأس المال الوطني والأجنبي ، وحافز على توظيف ملاييننا في خدمة الاقتصاد المصري مما يعود على مصر وعلينا بالخير والبركات ، ولكن ماذا بعد السادات ؟ ! ..

إنها مغامرة بالرغم من وجود السادات ، ولنا جميعاً من عشاق المغامرات .

من يحمي أموالنا إذا قام بعد السادات بكباشي آخر وصادر أموالنا وأمم مصانعنا ومتاجرتنا ووضعنا تحت الحراسة بحجة التحول الاجتماعي وحتمية الحل الاشتراكي وعودة المد الثوري والقضاء على الإمبريالية والتصفوية والرجعية وسحق رأس المال الذي يستغل عرق العامل والفلاح إلى غير هذه الحجج المغلفة بشعارات مبهمة لا يفهمها حتى مبتدعوها من مخترعي هذه الشعارات ؟ ! ...:

إن عصر السادات تميز بوجود حكومة مجتهدة فاضلة تحاول على قدر طاقتها أن تؤكد سلطة القانون ، وتحمي المال العام والخاص ، بيد أنها هي والنظام كله مرتبط أمرهما بوجود الرئيس السادات على رأس السلطة ، فاذا رأى أن يستريح ، ومن حقه يوماً أن يستريح فما نظن أن المؤسسات الدستورية في إطارها الحالي قادرة على مواجهة ما قد ينبت من تحت الأرض ، وليس كل ما يخرج من تحت الأرض يحمل المن والسلوى ، فتحت الأرض أحياناً ثعابين وحيات ، واضطراع يثور ويفور بالزلازل والهزات !!

خُلجَات يَغْيِر عَسْوان

كانت أم نابليون لا تحب الحديث في أمور السياسة ، وكانت تقول : مالى والسياسة والإمبراطور موجود ؟
وعاشت فرنسا ثمانية عشر عاماً كأُم نابليون ، ترى الكياسة في البعد عن السياسة ، وترى الأمان في ترك الأمور يتولاها السلطان .
وفي الربع القرن الأخير عاشت معنا في مصر أم نابليون ثمانية عشر عاماً أخرى ، فكانت الأمور كلها مرجعها إلى جلالة الإمبراطور ؛
ثم توليت يا سيدى أمورنا ، وقلت لنا في معرض شكرك لمواطنيك على تجديد البيعة لك في شهر سبتمبر الماضى^١ ، إنه لا خير فينا إن حبسنا كلمة النقد ، ولا خير فيكم إن لم تستمعوا إليها . . .
وها نحن أولاء نقول كلمة النقد في غير « تحجر » ورعوسنا
تجرى إلى الأمام ، وتسبق جيلها بأعوام وأعوام . . .

* * *

طلبت إلينا في خطبة مارس أن نشد الأحزمة على البطون حتى تجتاز البلاد محنة اقتصادها المتردى ، وبدا في الصحف أن حكومتك تحاول أن تكون قدوة للشعب ، فخفضت من ميزانيتها الكثير ، وإن جاء جانب من هذا التخفيض على حساب بعض مشروعات الإنشاء والتعمير .

وتهيانا يا سيدى الرئيس لنشد الأحزمة على البطون وإن كان بعضها خاوياً لا يحتمل حجراً أو رباطاً... فاذا فى بعض تصرفات وزرائك ما يثير السخط والغضب ، ومع أنهم وزراء « شطار » فى مواقعهم ، ومجتهدون فى عملهم ، إلا أنهم لا يعيشون معنا ولا يتعايشون مع توجهاتك ، وهم فى أبراج عالية لا يعرفون المعاناة التى يحياها مواطنوك إذا أمسوا أو أصبحوا :

لقد جمّل وزير الخارجية وزارته فأعاد دهانها من جديد ، فلما اكتمل رواؤها وتم بهاؤها دعا إلى العشاء نحو ألف من الدبلوماسيين ، ولم تكن هناك مناسبة قومية تقتضى دعوة العشاء إلا أن يكون ذلك احتفالاً بدهان الأبهاء والحيطان !

ولا اعتراض لنا على دهان النوافذ وطلاء الحوائط ، فذلك جهد مشكور من الوزير ، لأن وزارة الخارجية وجهة البلاد ، وهى فى جميع دول العالم تبدو تحفة فى الأثاث والبناء ، ويستوى فى ذلك الترف الرأسماليون والشيوعيون على السواء .

ولنما اعتراضنا على الإسراف فى إقامة المآدب والحفلات وخاصة إذا أقيمت لسبب غير معلوم ، فسوف يكون ذلك [مدعاة لضيق المواطنين الجائعين الذين نطالبهم بشد الأحزمة على البطون !]

ثم نشرت جريدة الأهرام خبراً طريفاً عن هبة وزير الخارجية فى إبراز محاسن وزارته ، فزعمت أنه اتفق مع أحد الرسامين على

أن يعد لوحات بصور جميع وزراء الخارجية الذين تولوا الوزارة من أربعين سنة مقابل خمسمائة جنيه لصورة كل وزير ! وقالت الجريدة إن صور الوزراء سوف تزين ردهات الوزارة لتكون متعة للناظرين (١) ! ...

ولا أدري كيف وقفت معلومات وزير الخارجية في تاريخ الوزارة ووزرائها عند سنة ١٩٣٦ ؟ فوزارة الخارجية أقدم بكثير مما توهمه السيد الوزير ، إذ أنشئت منذ مائة عام في عهد الخديو إسماعيل عندما تقررَت المسئولية الوزارية في ذلك الحين ، وهي موجودة — تجاوزاً — منذ عهد سلفه سعيد باشا وإن لم تكن مصر تملك في ذلك الوقت أن تمنح المسئول عن الشؤون الخارجية لقب الوزير .

وما يليق بالوزارة التي تصنع التاريخ أن تجهل تاريخها حين تريد أن تسجله في صور لوزرائها الغر الميامين ؟ ! ...

وما يليق بها أيضاً أن تبذر أموال الكادحين في رسم أسلاف الوزير ، وهو عمل يحتمل التأجيل إلى ما بعد انفراج الأزمة الاقتصادية في سنة ١٩٨٠ وإلا كانت الوزارة مجافية لتوجيه الرئيس الذي دعا إلى شد الأحزمة على البطون ...

* * *

ويقولون يا سيدى الرئيس إن فى سيارة كل وزير تليفوناً يستعمله إذا شاء وهو فى الطريق فيتصل بوزارته إن دعت الحاجة إلى ذلك ، فقد تكون هناك قضية ملحة ، لذلك زودت بالتليفون سيارة كل وزير :

ويقولون إن ذلك الحدث ، أى تليفون فى سيارة كل وزير ، ليس بدعة فهو وارد عند وزراء الدول المتحضرة ، ووارد عند رجال المال والأعمال من أصحاب الملايين .

ويقول المواطنون ، إنها بدعة مقبولة هناك ، لأنهم لا يشكون عجزاً فى ميزانية الدولة ، والرخاء عام وشامل ، وليس بين القوم واحد فى مسغبة ، والبطون من فرط الخير تَشِمَّت ولم يعد فيها مكان لزاد جديد .

ثم يقولون .

وإذا فهمنا واقتنعنا بأن كبير الوزراء وزمليه وزيرى الدفاع والداخلية تفرض مسئولياتهم أن تكون فى سياراتهم تليفونات لأن السياسة العامة فيها كثير من المفاجآت يجب أن يكون رئيس مجلس الوزراء على علم بها فى بيته أو مكتبه أو فى الطريق ، وأن أمن البلاد سواء على الحدود أو فى الداخل يقتضى مرعة البيت من الوزيرين الآخرين ، فما تظن أن لدى وزير الأوقاف مثلاً من المشاكل العاجلة ما يحتم وجود التليفون فى سيارته ، وأكبر الظن أن وزير الأوقاف إن غاب عن وزارته شهراً ، أو سكنت تليفوناتها دهرأ ، فإن أمراً

من أمورها لن يعوج أو يستقيم ، لذلك يعتبر المواطنون تزويد
سيارة مثل هذا الوزير بتليفون تبذيراً في مال العمال والفلاحين
أو استكمالاً لمظهر فارغ في عهد يطالبنا الرئيس بأن تشد فيه الأحزمة
على البطون !....

* * *

وفي الوقت الذي تطلب من المستولين الاقتصاد في النفقات ،
وتوظيف العملات الحرة فيما يعود بالنفع على الوطن ، ويفرج
كروب الناس ويخفف متاعبهم ... في هذا الوقت العصيب ينقل لنا
التليفزيون الدورة الأولمبية في كندا عبر القمر الصناعي ، وتكلف
الدقيقة فيما يقولون آلاف الدولارات...

ما ضرنا لو كانت الطائرات قد نقلت أفلام الدورة يوماً بعد
يوم دون أن ترهقنا بعشرات الألوف من الدولارات ؟ ...
هذه جزئية في سياسة الإنفاق ، ولكنها عند المواطنين تسبب
ولاسراف ، ودليل على التبذير في وقت يقتضي منا القصد والتدبير .
وهذه الجزئية لها في كل يوم نظير هنا أو هناك ...

* * *

وهل عندهم في دمشق أو طرابلس فندق كفندق هليوبوليس
صنعوا فيه ما صنعنا في فندقنا العتيق ، منذ أقمنا فيه تلك الوحدة
المزعومة ، ثم قلنا هنا مقر الاتحاد وهنا توحدت البلاد ، ثم كيفنا
الحجرات ، وفرشنا البسط والسجاجيد الصينية والإيرانيات ؟ !

(م ٨ - أقول - لاطان)

وجئنا بدمى صنعنا منها حكومة ، وقلنا هؤلاء هم الوزراء والنواب ، وأجرينا عليهم الرزق يسخاء ، رواتب ضخمة بالعملات الصعبة ، وخصصنا لهم السيارات الفارهة ، والمكاتب الفاخرة ، ولم نسمع لهم جهداً إلا جهداً مشكوراً لواحد منهم في ميادين كرة القدم !

ولم نر لهم أثراً إلا في انهيار وحدة الجهل والقحة والندم !! ... ترى سيدى الرئيس ، كيف تقوم وحدة بين أنظمة تختلف من الجنود والأعماق ؟

حكم المفتون السفية الجاهل فى طرابلس ...
وحكم القسانون والحرية فى القاهرة ...

إن الوحدة فى أواخر القرن العشرين تفكير رجعى وسقيم ولا يتفق مع تطور الحياة .

إن الوحدة فكرة من مخلفات القرون السابقة ، وقد فشلت فى الأحلاف المقدسة ، وفى حروب نابليون .

إن الدين والتقاليد واللغة ليست مبررات لقيام الأحلاف والوحدات ، وإلا كانت هناك وحدة بين بلجيكا وفرنسا ، وبين ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ومقاطعات فى سويسرا ، وبين معظم دول أمريكا اللاتينية ، وبين الولايات المتحدة وكندا ، والأمثلة لا تعد أو تحصى ...

الدنيا مبصالح ، وإن وجدت بين دولة وأخرى ! كانت عاملا
أقوى من الوجدات والأخلاف ...

هل من المعقول أن تم وحدة بيننا وبين البدوى السفیه فی الوقت
الذى قصمنا بجهلنا وغبائنا وحدة كانت قائمة عبر آلاف السنين
بيننا وبين السودانيين ؟

وعلى أى حال فإن الوحدة قائمة فى وضع ما بيننا وبين جميع
بلاد الوطن العربى :

إنها قائمة بمعلمينا ومهندسينا وأطبائنا وخبرائنا وعمالنا الذين
يعملون ويشيدون ويطبون وينصحون فى تلك البلاد :

إنها قائمة فى كل أرجاء العالم العربى بما لنا فى هذا العالم من آثار
أدبية ومادية وبما لنا من جيش يحمى ذمارهم ، ووزن دولى يعلى
من قدرهم .

إنها قائمة ...

إننا هناك ...

إننا نحكم القدر مهما تنطلق الألسنة بالقحة وسوء الأدب فى
صحف وإذاعات البدوى الجاهل الخالى من الفطنة والذكاء ...

إننا نرفض وحدة مع معتوه يبدد أموال مواطنيه فى التدمير
والتحريق والمؤامرات وسرقة الطائرات ، ويفجر القنابل فى أبريائنا
ويتم أطفالنا ... !

كيف تبسط يديك لمن تلطخت أيادهم بدماء المصريين .

١٠٠ صدقنى يا سيدى الرئيس حين أزعج أننا لا نزال نعيش فى
جانب من حياتنا فى الوهم والشعارات التى حطمتنا أصنامها منذ
ست سنوات ...

اعقلها وتوكل ...

قل للتاريخ إنك لا تكذب على نفسك وعلى الناس ، ولأنك
صادق مع نفسك ومع الناس ، فسوف تلغى هذه الأكلوبة التى
قامت على غير أساس ، وتسترد نوابك ووزراءك من وحدة الوهم ،
وتوفر لخزانة الدولة ما يصرف عليهم من حر العملات ، وتفتح
الفندق التليد لرواده بعد أن طال قعودهم فى الطريق العام ... !

* * *

وفى الاحتفال بذكرى الراحل عبد الناصر ، تحدثت يا سيدى
عن إضراب بعض عمال النقل العام خلال شهر رمضان ، وهى
جريمة ليس لها من دافع إلا ذعر الماركسيين وحلفائهم من النتيجة
الباهرة التى حصلت عليها فى استفتاء الرئاسة ، وذلك حدث يهز
كيانهم ، ويحبس آمالهم فى بيات طويل مداه ست سنوات ! ...

ولما كان الشيوعيون لا يؤمنون بحوار اللسان ، أو يقارعون
الرأى بالحجة والبرهان ، فإن سياستهم التهطيم ونشر الفوضى ،
وبث الكراهية والأحقاد ، وقطع عروق المحبة بين الإنسان وأخيه
الإنسان ... !

لقد أرادوا استغلال ضيق الناس بكثير من متاعب الحياة التي ورثها عن نظام كانوا سدننته وألسنته ، وليس لك فيها نصيب .
لا حرية مع الفقر ...

شعار يرفعونه معارضين ، حتى إذا تولوا السلطة ، أصبح الفقر قاعدة الحياة ، وانتفت الحرية ، وحلت مكانها المشائق والمحائق والمنافى والسجون ...

وما أظن أحداً في مصر يمكن أن يتجاوب في حلف مع ذلك الشيطان إلا من يسمون أنفسهم ناصريين ! ...

علام يلتقون ؟

الحقد طبيعة الشيوعيين والناصرين ...
السجون والمعتقلات هي العملة السائدة في النظامين ...
الإشاعات والأكاذيب والشعارات الفارغة التي لا مضمون لها ،
هي طرائق الإعلام عند الحليفين ...

ليس في مصر يمين متحجر إلا أن يكون الناصريون قد لبسوا قميص هذا اليمين ...

لأنهم وحدهم يسرون إلى الأمام ورؤسهم إلى الخلف تبكى
السجون الدوارس ، وتتحسر على ذلك السلطان الباغي الذي أحكموا
به مصر معظم الجيل ! ...

إن كاي مبال ، الشيوعيين والناصرين ، لا يريدون لنظامكم أن

بمضى قدماً نحو التطور الذى وعدت به إن نجحت التجربة الديمقراطية
التي بدأت منذ حين :

إن الوطنيين الأحرار لا يمكن أن يخاصوك وأنت صاحب
دنيالة الانفتاح وصاحب معركة التحرير ...

نحن الوطنيين الأحرار ، السواد الأعظم الذى أفاد من منجزاتك
وهى المنجزات التى عصفت بأحلامهم وكانت مبرراً لحلفهم المتيقن ،
ألا تعلم أن أقوى الأحلاف ما قامت بين الشياطين ؟

نعم فى مصر الأحرار الوطنيون ، وقد يختلف معك هؤلاء
الأحرار الوطنيون فى طرائق النظر لبعض الأمور ، ولكنهم فئة غير
متحجرة ، فئة حرة لا ترى الجريمة وسيلة للحوار ، وأقصى
ما تحمل من سهام ، قلم يكتب ، ولسان يفصح ويبين .
يقولون لا خرية مع الفقر ...

ونحن نقول لا فقر مع الحرية ...

لذلك نرجو مزيداً من الحرية لنقضى على الفقر الذى صنعوه لنا
ليركبوا موجته ، ويعطلوا مسيرة الحرية ، ويعودوا بنا القهقري إلى
عهد العنصر وما نجاها من أدوات التنكيل والتعذيب ...

* * *

إنك يا شيدى الرئيس تقطن بيتاً يقع على ضفة النيل ...

وقد استمعت إلى حديث السيدة قرينتك في التليفزيون وفهمت
أن رياضتك المفضلة السير في الحديقة على النيل ..

ولا شك أنكم سرحتم مراراً في جلال هذا النهر العظيم ،
ولا شك أنكم تقدسونه كما يقدسه المصريون والسودانيون وكل أقطار
ينهادى على شاطئه في انسياب وحنان ، يسقى الظامى ويروى الأرض ،
ويحمل على سطحه البواخر والمراكب تنقل الخير إلى كل مكان ..
ولما كانت مصر هبة هذا النهر الخالد ، فقد حياه المصريون
بلافتة صغيرة كتبوا عليها ... شارع النيل !

وفي غفلة من المستولين ، وفي غفوة من ضمير ، لص واحد
من أذناب الطغيان فحما اسم الحى الذى وهب الحياة للأحياء ،
 ووضع مكانه اسم عبد الناصر !

ترى هل يضير النيل أن يطمس اسمه وهو قرين الأزل ورفيق
الليل والنهار ؟

قل لهم سيدى ، هذا عيب وإنها فعلة لا تليق ...

لقد محوا اسم « سليمان باشا الفرنساوى » من ميدانه المعروف
وهو من الأسماء اللوامع في عهد محمد على الكبير ، وهو القارس
الذى أنشأ لمصر أقوى قوة ضاربة في العصر الحديث ، وقاد جيوشنا
إلى مشارف القسطنطينية وحارب جيوش العالم مجتمة وأعلى من
اسم مصر والمصريين ...

قل لهم سيدي ، ليس يمثل هذا يحفظ الجميل ، وليس يمثل هذا يمكن للحقد أن يزور التاريخ ... !

وفي الإسكندرية أصبح الناس يوماً فإذا شارع شريف باشا قد تحول أيضاً إلى شارع صلاح سالم !...

ولأنه لشيء عجب أن يكون صلاح سالم وحده من بين أعضاء مجلس الثورة ، الأحياء منهم والأموات ، هو الذي يخصصه بأطول طريق في القاهرة يربط جنوبها بشمالها ، وصاحب أطول طريق في الشجر العتيق ، ولا يقفون في تكريمه عند هذا الحد من التكريم ، فيسطون على اسم شريف باشا وله في التاريخ تاريخ ، ليضعوا مكانه اسم صلاح سالم صاحب أكبر مأساة عرفها التاريخ !

والله إنها لفارقة تهز الوجدان وتثير منحنى كل من قرأ التاريخ . إن شريف باشا الذي يجهل سيرته الجاهل الذي أراد أن يحذف اسمه من سجل الخالدين ، كان أول رئيس للوزراء نادى بالديمقراطية والحرية في عهدى إسماعيل وتوفيق ، وطالب بأن تكون الكلمة للقاعدة العريضة من أبناء الشعب ، لا للأمرأ والوزراء وأصحاب الرتب والطين .

ثم عاد رئيساً للوزراء في سنة ١٨٨٤ ، وقد طلب إليه المحتلون الإنجليز أن يسحب الجيش المصرى من السودان ، فأبى عليهم ذلك ، لأنه اعتبر سحب فرق الجيش من السودان كسحب فرق مثلها من

الإسكندرية أو أسوان ، فالسودان كان عند الرجل جزءاً متمماً
لمصر وامتداداً لها في الجنوب ، وسحب الجيش منه كسحب الروح
من الجسد ، ولم يكن الرجل مستعداً أن يكون هذا الجلاد الحقير ...!

فماذا فعل السيد صلاح سالم أحد الفراعنة الذين حكموا مصر
بالعصا والكرياج ؟

إن له تاريخاً في قضية السودان يجب أن يعرفه الجيل الناشئ
التائه بين التزوير والتضليل .

ذهب إلى هناك وبذر ملايين الجنيهات واستعرض مفاتن جسده
عارياً كما ولدته أمه ، ورقص هكذا رقصة إفريقية ، وحل المشكلة
السودانية في لحظات ، إذ وقع مع الإنجليز وثيقة بفصل مصر عن
السودان !!

لصلاح سالم هذا شارع وطريقان ، في الوقت الذي تضمن مصر
على زعيمها مصطفى النحاس أن يكون له في القاهرة أو سمود
حارة أو زقاق !

مصطفى النحاس الذي أعلن وحدة وادي النيل وتحدى الإنجليز
ووثق ذلك بقانون ، وأيد بالمال والسلاح حملة الفدائيين على المحتل
في مدن القناة سنة ١٩٥٢ حتى لجأوا إلى حرق القاهرة ليتخلصوا
من أعظم مجاهد عرفته مصر بعد سعد زغلول ...

قل لهم سيدى الرئيس ... انجسوا فقد ألفت لجنة لتصويب التاريخ ... !

* * *

.. بودى يا سيدى الرئيس أن نكون أكثر حزمًا مع الروس ...
إن المتاعب التى تلقاها بين الحين والآخر ، يرتب لها هؤلاء
الروس ، وتقوم سفارات تجرى فى فلوكهم ، بمعاونة عملائهم فى
القاهرة ، ويتأييد من يسمون أنفسهم ناصريين ، يقوم كل هؤلاء
بحملة التشكيك فى كل نواياك ، وقد امتطوا موجة الأزمة الاقتصادية
لهزوا مجتمعنا من الأعماق . !

هذه حقيقة تعرفها الحكومة ويعرفها رجال الأمن ، ولا يعلنونها
للمواطنين خشية أن يزيد الطين فى مجرى العلاقات بيننا وبين هذا
الدب طويل الخوافر والأنياب ! ... !

١. إن أقصى أمانهم أن تزداد الأزمة الاقتصادية حدة ، فيزداد
الناس ضيقاً وفقراً ، وفى ظنهم أن ذلك مدخل لانهايز النظام ،
ومن ثم يقوم نظام شيوعى فى البلاد ، وإذا تحقق هذا الحلم تمر كس
الوطن العربى كله ورُفرف العلم الروسى من سيبيريا إلى المحيط ... !
٢. أعلم أنه عشم إبليس فى اللجنة ..

٣. الدنيا تعلم يا سيدى الرئيس أن الأزمة الاقتصادية من صنعهم ،
وأنهم يريدونها خانقة ، وكل يوم يضغظون ليزيدوها خبطة ، وفى

يدهم « كيبالات » إما أن تسددها أو يعلنوا « بروتستو » ويشهروا
على الملاءة فلا سنا !

والبديل أن تركع وتسلم قيادنا إليهم صاغرين ...

وديونهم تلك حصيلة سلاح باعوه لنا ومنعوا عنا قطع الغيار ،
إذا طلبناها من الهند أمزوها ألا تزودنا بما نريد ...
وإذن فهي ديون لحديد وخردة ... !

اعرضه سيدى عندنا في « وكالة البلخ » فإن اشتروه حول لهم
حصيلة البيع ، وهي كل حقهم في ذمتنا ، ولا أقول اسقط هذه
الديون كما اسقطوا هم دين السلاح الذي زودتهم به أميركا في
أيامهم العصيبة إبان الحرب العالمية الثانية ...
إننا أشرف لا نأكل حقوق الناس ...

وإذا لم تكن لهذه « الخردة » سوق في « وكالة البلخ » ورايت
بنخوة الفلاح وابن القرية أن تسددها بالرغم مما أنت فيه من ضيق ،
فاضرب لهم موعداً بعد عشر سنوات تسدد لهم حينئذ إما لهم من
ديون بلا فوائد ، لأن « الخردة » (هنا) لا فوائد فيها حتى
تكون لها فوائد ! ...

فإن قبلوا فمرحباً ، وإن رفضوا فتمثل بقوله ستفك — ولكل
مقام مقال — قل لهم ما أكثر بحارنا ، فاشربوا من هذا البحر
أو ذلك ...

... ابن تعتب عليك دولة من الدول ... فأنت لا تأكل مال يتي
أو أيم ... أنت تؤجل ديناً لميسرة ...

هذا الحل ، يحل نصف المشكلة ، والنصف الباقي تحله إمكانيات
وطناك ويحله مواطنوك بشد الأحزمة على البطون ، ويغنينا الله سبحانه
عن السؤال ، ويغنينا عن صندوق الدين الذي يريده وزير المالية
العربي شرطاً لغوث طلبناه حتى نتفرغ لمواجهة إسرائيل ونحمي
بمواجهتها معالي الوزير من عار الهزيمة ، ونحفظ عليه خزائنه المايئة ،
ونيسر له مزيداً من الترف والعز والآبهة ...

كم أساء إلينا الروس ؟ ...

* * *

سیدی ...

لقد توليت شئون البلد بعد رجيل عبد الناصر ، وعلى رأس كل
مؤسسة وشركة ، وكل وزارة وإدارة ، واحد من الجهاز السري ،
وهم فيما نشرته الصحف وذكر في ثورة التصحيح نحو خمسين ألفاً ،
دربوا على الفتنة والتأصص ، وتشربوا سياسة اقتصادية لا تتفق أبداً
مع سياسة الانفتاح التي ترعاها وتجاهد في سبيل نجاحها ، ومارسوا
الوظيفة طغاة مدللين لا يراجعون في أمر ، ولا ينصتون إلا لأغراضهم
وأهوائهم :

وفي ظل سيادة القانون انحسرت سرقاتهم وأحكمت الرقابة على تصرفاتهم ، وكشفت الصحف عن كثير من جرائم بعضهم ، ولم تعد لأعضاء هذا الجهاز الذين لا يزالون في مواقعهم القدرة على ممارسة ما كانوا يمارسونه فاستعاضوا عنه بإفساد كل غرض تسعى إليه ، يثثون البلبلة ويشيعون الأكاذيب ، ويحطمون كل جهد يبذل لانفراج أزمة البلاد .

لأنهم أعداء الحرية ، لأنهم النمامون ، لأنهم الجواسيس ، لأنهم أدوات الطغيان والرجعية ، لأنهم معاول هدم لكل منجزاتك ...
لأنهم يرجون يوماً تعصف بالنظام أزمة في الداخل أو أزمة من الخارج ، النظام الذي اطمأن فيه المواطنون إلى يومهم وغدهم ، وعلى ما لهم وعرضهم :

لا أقول اسجنهم أو اعتقلهم فذلك أسلوب عهدهم البغيض وقد مضى إلى غير رجعة ، بل أقول مرحبهم في إحسان ، وتخبر مكانهم المؤمنين برسالتك ، العاملين على رفاهية شعبك ، واقطع ما بين ماضٍ مظلم ومستقبل مشرق :

سيدي ...

لقد انتظرنا ذلك الإجراء بعد ثورة التصحيح .. وفاتت الفرصة وانتظرنا ذلك بعد نصر أكتوبر ... وضاعت الفرصة ...

وقد عدت إلى موقعك مظفراً منذ أسابيع ، فاهتبلها سيدي
ولا تضيعها !

.. سيدي ..

إن النواقيس حين تدق ، فهي دعوة إلى صلاة ، أو إنذار بخطر ..

سيدي ...

هذا الكتاب ... دقة ناقوس ..

فهرست

الموضوع	صفحة
تعهد الرئيس	٣
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الأولى	٩
معك ولو اختلفنا	١٢
الثوب الناصع الأبيض	١٥
انتخاب الرئيس	٢٩
الصحافة حرة	٣٨
أجنحة الصنم	٥٣
بين عهدين	٦٣
لكم دينكم ولي دين	٨٢
تغليق الانفتاح	١٠١
خطابات بغير عنوان	١٠٩

رقم الإيداع ٥٣١٥ / ١٩٧٦
الترقيم الدولي ٧٢٤٩٠٠٨ - ١٩٧٧

مطابع سجل العرب

هذا الكتاب

.. دون عرض على الرقابة صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب [أقول للسلطان] مستندا الى ما قاله السادات ((أتعهد بالألا يقهر رأى أو يكبت فكر)) ناقش فيه الكاتب رئيس الجمهورية بلا خوف .. بلا تردد .. ناقشه في آرائه .. في طريقة انتخاب رئيس الجمهورية .. في حرية اصدار الصحف ... في معاقبة مزورى التاريخ .. في الفاء وظيفة المدعى الاشتراكى ... في وفائه للصديق ... مطالبا في نهاية كتابه تسريح نحو خمسين ألفا دربوا على الفتنة والتلصص ، وتشربوا سياسة اقتصادية لا تتفق أبدا مع سياسة الانفتاح . كان وما زال الكثير منهم على رأس العديد من المؤسسات والشركات .

وبعد صدور الكتاب ، وبعد أن استقبل السادات المؤلف — الفيت الرقابة على الكتب ، والتي كانت تعد من بقايا عهد الكبت والوصاية التي فرضت على الشعب ... فكان هذا الكتاب فاصلا بين كتب صدرت بعد العرض على الرقيب ، وكتب ستصدر بمشيئة الله الى القراء مباشرة دون التعرض للحذف أو الاعتراض .

واننا اذ نقدم هذه الطبعة الجديدة الى القارىء — والكاتب هو فى ذات الوقت صاحب مؤسسة سجل العرب للنشر — فانما نهدف الى المشاركة فى الاحتفال بالغاء الرقابة .

الناشر
احمد



BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



0656676

054
59
77